عبد الوهاب بوحديبة

13 أوت 1932 – 17 ديسمبر 2020

المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون
«بيت الحكمة»

عبد الوهاب بوحديبة : 1932-2020 / عمل جماعي، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، 2021 (تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم)، 62 ص، 22 سم - مسفّر
ر.د.م.ك: 978-9973-49-226-5

سحب من هذا الكتاب 100 نسخة في طبعته الأولى

© جميع الحقوق محفوظة
للمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون
«بيت الحكمة»

قرطاج، 2021

المُحتــوى

سيرة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب بوحديبة 7

كلمة السيد رئيس المجمع في تأبين الفقيد 15
عبد المجيد الشرفي

الشهادات

صلاح الدين بن فرج 21

فتحي التريكي 25

منير السعيداني 29

عبد العزيز قاسم 35

مهدي مبروك 39

محمد محجوب 43

مصطفى النصراوي 49

صور تذكاريّة 55

سيرة الأستاذ الدكتور
عبد الوهاب بوحديبة

أ) من مواليد يوم السبت 10 ربيع الثاني 1351 هـ الموافق لـ 13 أوت 1932 م بالقيروان حيث نشأ في أسرة علم.

- أستاذ بالجامعة التونسية ومدير سابق لمركز الدّراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

ب) التكوين والشهائد العليا:

- زاول تعليمه الابتدائي بالقيروان بالكتذاب وبالمدرسة الفرنسية/ العربية.
- انتقل إلى المدرسة الصادقية بتونس وتخرّج منها سنة 1951 بشهادة نهاية ختم الدروس والباكالوريا الفرنسية بملاحظة حسن.
- انتقل إلى باريس حيث واصل تكوينه بمعهد «جانسون دي سايس» وبالسربون وبمتحف الإنسان، وتحصّل بين 1951 و1959 على:

– الإجازة في الآداب

– الإجازة في الفلسفة

– الشهادة العليا في الانتربولوجيا

– الديبلوم العالي في الفلسفة

– التبريز في الفلسفة

- وفي سنة 1972 تحصّل على دكتوراه الدّولة في الآداب والعلوم الإنسانية من السربون، بملاحظة مشرّف جدّا..

ج) التدريس الجامعي:

- درس سنتي 1960 و1961 الفلسفة العامة بثانوية العلوية بتونس.
- ارتقى سنة 1961 إلى رتبة مساعد بكليّة الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة التونسية فإلى أستاذ مساعد فأستاذ مساعد فأستاذ محاضر فأستاذ كرسي لتدريس علم الاجتماع المغاربي والإسلامي.
- 1966، أوّل أستاذ كرسي للتعاون الدّولي، ودرّس بهذه الصّفة بجامعات لياج ولوفان وأبيدجان وكيباك ومنريال وداكار.
- درّس بصفة أستاذ زائر بجامعة السربون عديد المرات وأكس بفرنسا ومدريد وأنقرة والرباط...
- شارك في عديد الملتقيات الدّولية العلمية.
- درّس علم اجتماع التنمية بصفة موازية بالمدرسة العليا للإدارة والمدرسة القومية للتعاضد ودار المعلمين العليا والمعهد الأعلى للدّراسات الاستراتيجية بتونس.

د) الوظائف:

- من 1962 إلى 1968: رئيس قسم الدّراسات الاجتماعية بمركز البحوث والدّراسات الاقتصادية والاجتماعية.
- من 1964 إلى 1982: رئيس أقسام الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس بكليّة الآداب والعلوم الإنسانية بتونس.
- من 1972 إلى 1991: مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس.
- من 1975 إلى 1985: عضو مجلس إدارة معهد الدراسات الجامعية عن التنمية بجامعة جنيف سويسرا.

- من 1988 إلى 2000: عضو معهد كتالونيا للدّراسات المتوسّطية، ذه الصّفة عضو لجنة تحكيم جائزة كتالونيا الدّولية.
- من 1991إلى 1994: مدير مساعد للثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- من 1995 إلى 2010: رئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» وعضو شرفي بالمجمع منذ 2012.
- منذ 1999: عضو منتخب ومنتسب ونائب رئيس المجمع الأوروبي للعلوم والآداب والفنون.
- منذ 2000: عضو مراسل لمجمع اللّغة العربية بدمشق.
- منذ 2002: عضو مراسل لمجمع اللّغة العربية بالقاهرة.

هـ) البحوث العلمية:

1. ألّف أكثر من مائة وخمسين بحثا علميا أكاديميا أو ميدانيا تطبيقيا في إطار النشاط الجامعي أوّلا وضمن بعض المؤسّسات الوطنية والدّولية. ونشرت أهمّ هذه الدّراسات في مجلات علمية أو في مجموعة دراسات.

2. نظّم على رأس مركز الدّراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية 96 ندوة وحلقة دراسية أو ملتقى.

3. وفي إطار نفس المركز أشرف على إصدار 62 عددا من «المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية» تُوّجت بعدد ممتاز رقمه 100.

4. أسّس وأدار مكتب الدّراسات الاجتماعية بوزارة التخطيط.

5. وبصفته عضو المجلس الاقتصادي والاجتماعي قدّم عديد التقارير عن التنمية والتخطيط.

6. قام في إطار اليونسكو بين 1966 و1971 بمتابعة التجربة العالمية لمحو الأمية.

7. انتدب بين 1967 و1983 عضوا للهيئة الدذولية لبيبليوغرافيا العلوم الاجتماعية.

8. عضو هيئة تحرير كتاب «عن مختلف أوجه الحضارة الإسلامية» .

9. عضو هيئة تحرير المجلات العلمية الآتية:

– عضو مؤسّس ومدير مسؤول عن المجلّة التونسية للعلوم الاجتماعية إلى موفى 1990، ثمّ عضو شرفي لهذه المجلة،

– عضو هيئة تحرير البيبليوغرافيا الدّولية، نشرية اليونسكو.

و) النشاط الوطني والدّولي في مجال حقوق الإنسان:

- 1971: عيّن خبيرا دائما لدى الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان ومكافحة التمييز العنصري.
- 1972–1980: عضو لجنة الأمم المتّحدة لحماية الأقلّيات وحقوق الإنسان.
- 1978–1979: رئيس هذه اللّجنة.
- 1978: خبير خاص للأمم المتّحدة لتقصّي الحقائق حول انتهاك حقوق الإنسان من طرف الخمير الحمر في كمبوديا.
- 1979–1982: مقرّر خاص للأمم المتّحدة لدراسة ظاهرة استغلال عمل الأطفال في العالم.
- 1983–1984: رئيس اللّجنة العربية لحقوق الإنسان التابعة لجامعة الدّول العربية.

- 1978-1988: عضو مؤسّس للرابطة التونسية للدّفاع عن حقوق الإنسان وأمينها العام ثمّ نائب رئيسها.
- 1991: عضو الهيئة العليا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية.
- 1978: عضو لجنة إسناد جائزة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان.
- 1980: عضو لجنة إسناد جائزة اليونسكو لتدريس حقوق الإنسان.

د) أهمّ المؤلّفات:

- الإجراموّية والتغيّرات الاجتماعية في تونس (بالفرنسية-تونس 1965).
- الظروف الأساسية للتصنيع في تونس (بالإشتراك-بالفرنسية 1968).
- الظروف الاقتصادية والاجتماعية لحياة عملة مناجم الفسفاط بقفصة (بالفرنسية 1968).
- علم اجتماع التنمية الإفريقية (بالفرنسية-لاهاي 1968).
- الجمهور والعدالة (بالفرنسية-روما 1971).
- بحثا عن القيم المفقودة (بالفرنسية-تونس 1973).
- الجنسانية في الإسلام (باريس 1975، في عدّة طبعات ومترجمة لليابانية والإسبانية والإنقليزية والبوسنية والعربية والإيطالية والبرتغالية).
- المخيال المغاربي (بالفرنسية-طبعة جديدة 1995).
- تبريرا لكيان (بالفرنسية-تونس 1980)
- استغلال عمل الأطفال (نيويورك وجنيف 1982 بالفرنسية والانقليزية والروسية والصينية والعربية).
- لأفهم (بالعربية-تونس 1999).
- مباحثات اجتماعية (بالفرنسية- 1996).

- الغيرية في الإسلام (بالعربية والفرنسية– 2000).
- ثقافة القرآن (بالعربية والفرنسية – 2002).
- الإنسان في الإسلام (بالعربية والفرنسية – 2006).
- على خطى ابن خلدون (بالعربية والفرنسية – 2006).
- الفرد والمجتمع (بالفرنسية والإنقليزية والعربية اليونسكو 1994).
- الملكية (بالاشتراك – تونس 1967).
- بحوث اجتماعية (بالاشتراك – بالفرنسية – تونس 1996).
- دراسات إسلامية (بالاشتراك–تونس 1991).
- العلم والإيمان في الإسلام (بالاشتراك–تونس 1976).
- مناهج المستشرفين في الدّراسات العربية والإسلامية (بالاشتراك–قطر 1985، جزءان).
- حقّ الطفل في التربية (باريس 1979).
- الأبعاد النفسية للدّراسات الاجتماعية في الشرق الأوسط (بالاشتراك–بالإنقليزية–برنستن – 1977).
- التصنيع العربي والتكامل الاقتصادي (بالإنقليزية–لندن 1979، ترجم إلى الإيطالية).
- المدينة العربية في الحضارة الإسلامية (بالاشتراك–بالفرنسية–تونس 1982).
- أشرف على الأطلس القومي التونسي.
- حقوق الطفل في تونس (تونس 1995).
- الإنسان في الإسلام (تونس 2006).

- على خطى ابن خلدون (تونس 2006).
- القيروان على الدوام (بالفرنسية، سنة 2010).

ح) الأوسمة والتكريم:

- الصنف الأوّل من وسام الجمهورية.
- الصنف الثاني من وسام الاستقلال.
- الصنف الأوّل من وسام التربية.
- الصنف الأعلى من وسام الثقافة.
- الوسام العلوي برتبة قائد.
- ميدالية جامعة لياج ببلجيكا.
- ميدالية الجامعة المستقلة بمدريد.
- الجائزة القومية للعلوم الاجتماعية.
- الجائزة الدّولية للثقافة العربية- اليونسكو الشارقة 2002.
- جائزة رئيس الجمهورية لحقوق الإنسان لسنة 2007.

كلمة تأبين

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

أيها الراحل العزيز

نودّعك اليوم الوداع الأخير، وقد غادرتَنا بعد حياة مليئة بالعطاء، ثريّة بالمعرفة، غزيرة الإنتاج. وإذ نودّعك بمشاعر الحسرة والأسى فإننا نودّع فيك أحد بُناة الجامعة التونسية الحديثة، والمثقّف الذي عرفَتْه أجيال من التونسيين في كلية الآداب والعلوم الإنسانية أستاذا قديرا في قسم الفلسفة، وأستاذا مَهيبا ومديرا مؤسِّسا لقسم علم الاجتماع في هذه الكلية، ورئيسا للجان الامتحانات والانتداب والترقية إلى مختلف الدرجات، وعرفَته مخابر البحث في العلوم الإنسانية داخل تونس وخارجها حين أشرفتَ على حظوظ مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية لسنين عديدة، كما عرفَه المختصّون التونسيون والأشقاء والأصدقاء في سائر فنون المعرفة، كما الجمهور العريض في الندوات والمؤتمرات التي نظّمتَها بصفتك رئيسا للمجمع التونسي للعلوم والآداب – «بيت الحكمة» وأشرفتَ على نشر أعمالها.

نودّعك اليوم الوداع الأخير، أيها العضو الشرَفي في مجمعنا منذ أن أعيد تنظيمه بفضل الثورة، وقد عرفناك زميلا حازما ورجلا مطّلعا على آخر ما يُنشر في تونس وخارجها في ميادين عديدة تتّصل بالتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والإسلاميات والدراسات الدينية عموما، وقارئا حصيفا لذلك الإنتاج الغزير، لا تغرّه التقليعات العابرة ولا تؤثّر فيه الانتماءات الإيديولوجية المفضوحة أو المبطّنة. وكانت كتاباتك دليلا ناصعا على استقلالية الرأي وعلى التشبث بما هو أصيل في تراثنا ومقوّمات شخصيتنا، وبما هو مُعين على الفهم والتدبّر في إنتاج المحدَثين من المفكّرين والباحثين شرقا وغربا.

نودّعك اليوم الوداع الأخير، ولكنّك ستبقى حيّا في نفوس قرّائك وعقولهم. إنّهم بكل تأكيد لن ينسَوا أنّك كنتَ سبّاقا إلى إثارة قضايا فكرية ومجتمعية من المسكوت عنها، وجريئا في طرق مواضيع يتحرّج الكثيرون من الاقتراب منها، ولا سيما كل ما يتعلّق بالجنسانية ومشاكلها وأبعادها الخفيّة، في غير مغازلة للغربيين، بل بالتأكيد على أن الموقف الإسلامي – نصوصا وممارسة – على نقيض النظرة المسيحية التي تؤثّم الجنس وتربطه بالخطيئة الأولى. كما كنتَ معارضا رصينا لما ينساق إليه الجمهور من مواقف أساسُها الجهل بأُسُس التديّن الصادق، ومدافعا في الآن نفسه وفي غير تعصّب عن توجّهات سياسة الدولة الوطنية التحديثية. فلا غرابة أن تكون أوّل من دُعِي من غير شيوخ الزيتونة إلى إلقاء محاضرة في جامع عقبة، بمسقط رأسك القيروان – عاصمة الإسلام الأولى في المغرب الإسلامي والتي كنت متعلقا بها طول حياتك – وذلك بمناسبة ذكرى المولد النبوي، ودافعت في تلك المحاضرة الشهيرة عن ضرورة مقاومة التزمّت والتخلي عن الانغلاق والتقاليد البالية التي ارتبطت بالدين في أذهان الناس وورثوها من عصور الانحطاط.

نودّعك اليوم الوداع الأخير، وأنت الذي ساهم مساهمة فعّالة في ترسيخ البحث الاجتماعي ببلادنا، وتأصيله في تربتها، بعد أن كان حكرا على المنتمين، مباشَرة أو بصفة غير مباشِرة، إلى الذهنية الاستعمارية، فاهتممتَ من جملة ما اهتممتَ به بالإجرام وصلته بالتحولات الاجتماعية، وبمقوّمات التصنيع، وبعلاقة الجمهور بالعدل، وبواجبَيْ العلم والتنمية، وبعلاقة العرب والمسلمين بأوروبا، وبالمتخيّل المغاربي من خلال قصص الأطفال، وبظواهر الكبت المختلفة وصلته بالنظام السياسي، وحتى بمواضيع طريفة مثل ثقافة العطر، وغير ذلك من الأعمال التي كان لها الصدى الواسع في تونس ولدى المجموعة العلمية في كل مكان، ممّا أهّلك للحصول عل عديد الأوسمة ولفوزك بعديد الجوائز، مثلما أهّلك لتكون عضوا في أكثر من أكاديمية، ولأن تُستَضاف في الجامعات العريقة، ولأن تكون عضوا في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو.

هكذا كنت أيها الراحل العزيز وهكذا ستبقى آثارك علامة على الفكر المستنير وشاهدا على أنّ الأجساد تفنى ولكن الأفكار باقية على مدى الأيام لا تزول بغياب أصحابها. ذاك هو عزاء كلّ من عرفك عن قرب من أفراد أسرتك ومن تلامذتك وزملائك، وقدّر كفاءتك وريادتك.

فسلام على روحك الطاهرة، وإنا لله وإنّا إليه راجعون.

رئيس المجمع
عبد المجيد الشرفي

الشهادات

المسألة الجنسانيّة في فكر الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة: أبعادها وانعكاساتها

صلاح الدين بن فرج

تعتبر المسألة الجنسانيّة من المسائل التي لم تحظ باهتمام كاف من قبل المختصين في العلوم الاجتماعيّة بحكم طابعها المعقّد والشائك، وارتدادات البحث فيها أحيانا على الباحث والمبحوث في آن واحد، خصوصا في ظلّ مجتمعات جعلت منها نظاما عامّا مطلقا ومغلقا ومحاطا بطابع فريد من القداسة، واتخذت منها الركن الأساس الذي تستند إليه في تحقيق مختلف توازناتها وتحقّق به استقرارها. لذلك تتحوّل محاولة الخوض في مثل هذه المسائل إلى نوع من المغامرة التي تشترط قدرا هاماّ من الجرأة والكفاءة العلميّة بالنظر للانعكاسات المتعدّدة لتلك البحوث. ولعلّ الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة من الباحثين القلائل الذين نجحوا مبكّرا في توجيه البحوث والدراسات في العلوم الاجتماعية والنفسيّة نحو مواضيع تصنّف في خانة المواضيع التي يصعب إنجازها بحكم القدر الهام من الموانع والتحفّظات التي تثيرها، مثل الدراسات المتعلّقة بالمسألة الجنسانيّة. ولعلّ الجرأة في تأويل وتحليل مختلف الأبعاد المتّصلة بتلك «الظاهرة الشاملة» على حدّ تعبير الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة[1] هي ما شدّني مبكّرا إلى ما كتبه حول هذه المسألة، وذلك عندما كنت طالبا أتحسّس طريقي العلمي. وقد مثّل مقاله الهام حول «الحمام»[2] بداية مطالعاتي المتخصّصة للتعرّف على أهميّة التأويل العلمي لما نأتيه يوميّا من أعمال وأفعال تبدو بسيطة في ظاهرها ومستمدّة من جوهر معيشنا اليومي، والارتقاء بها نحو

1 – بوحديبة (ع) ،فصول عن المجتمع والدين، الدار التونسيّة للنشر، 1992، ص140

2 - Bouhdiba(A),Le Hammam, in *A la recherche des normes perdues* Maison Tunisienne de l'Edition, Tunis, 1973, p.121

دلالات متّصلة بعالم المقدّسات والطقوس السلوكيّة والرموز الثقافيّة. وقد مثّلت مفاهيم «العورة» (ببعديها الصغير والكبير)[1] و» الطهارة» و«النقاء» و» الدنس» عند الأستاذ بوحديبة، مدخلا لفهم البعد الشمولي لظاهرة « الحمام» في مختلف أبعاده الدينية والاجتماعية وخصوصا الجنسيّة. لكنّ التحليل السوسيولوجي لهذا البعد الأخير سيكون أكثر عمقا في كتابه حول **الجنسانيّة في الإسلام** (1975) حيث سيتناول بالتحليل، في نبرة من الحسرة والحنين، الظروف الموضوعيّة التي أدّت في نظره إلى الانتقال من طور «الجنسانيّة السعيدة « إلى طور من الجنسانيّة الاغترابيّة، الكئيبة والباردة وذلك منذ تحوّلها إلى شأن إداري، ممّا أفقدها بعدها الشبقي السعيد، وجعلها بدون طعم أو رائحة أو مذاق[2] وبالرغم من إيمانه بأنّه «قلّما يوجد ميدان مزروع بهذا القدر من الألغام والفخاخ»[3] كما هو عليه موضوع الجنسانية في المجتمعات العربيّة والإسلامية، فانّه سيعود إلى تناوله في فترة بدأ فيها المجتمع المغاربي في نظره يتساءل جدّيا حول الجنسانيّة. وبالرغم من تأكيده على مواقفه السابقة المتحفّظة على التحوّل الذي شهده النظام الجنساني التقليدي الذي أصبح «محلّ اختيارات وتمطيطات ومشاريع دوليّة»[4] بما أسهم من وجهة نظره في تبذيل الجنسانيّة وتحويلها إلى «جنسانيّة تقنيّة»، فانّه في المقابل، سيقرّ بوجود « ميل عام الى نزع صفة القداسة عن الجنسانيّة في ديار الإسلام» [5] وبأنّ لهذه التحوّلات التي شهدها نظام الجنسانيّة التقليدي جوانب إيجابيّة الانعكاس على الفرد وعلى ممارساته الاجتماعيّة التي ستصبح أكثر تحرّرا، دون أن يعني ذلك في نظره سقوط كلّ الممنوعات المتّصلة بالجنسانيّة، بل تحوّلها من أحاديّة المعنى إلى اللبس» [6] .

1 - *Ibid*, p123

2 - Bouhdiba (A), la sexualité en Islam, Paris, PUF, 1975, pp. 300 - 301

3 - بوحديبة (ع)، فصول عن ....مصدر مذكور، ص.137

4 - نفس المصدر، ص. 156

5 - نفس المصدر، ص.161 .

6 - نفس المصدر ص ص. 152-153

هذه الإضافات العلميّة المميزّة والمثرية لمسألة دقيقة ومعقّدة كالجنسانيّة حفّزت فيّ الرغبة في محاولة البحث والكتابة في الموضوع، لذلك اخترت القيام بدراسة ميدانيّة حول «تمثّلات الحب والجنسانيّة والزواج عند فئة الشباب الطالبي»، وتناولت فيها الأبعاد العلائقيّة التي يقيهما الطلبة في ما بينهم في كلّ أبعادها ومعانيها، محلّلا الأشكال المتعدّدة لاستثمار مختلف الرساميل الماديّة والرمزيّة التي يمتلكونها ومختلف الاستراتيجيّات التي يعتمدونها في تحقيق أهدافهم. وقد حمل هذا البحث عنوان:

«Amour, sexualité et stratégies de mariage chez les jeunes étudiants tunisiens»

وتزامن الانتهاء منه مع انعقاد الجلسة العامّة التاسعة لمجلس تنمية البحوث الاجتماعيّة في افريقيا « Codseria » سنة 1998، فقرّرت المشاركة بمداخلة أستعرض فيها نتائج تلك الدراسة في أشغال الندوة العلميّة لذلك المؤتمر، ومن حسن الحظّ، تمّ قبولها من طرف اللجنة العلميّة وبرمجتها في جلسة علميّة كبرى ومفتوحة. وكان من أبرز الحاضرين في تلك الجلسة الأساتذة سمير أمين وعلي الكنز وعبد القادر الزغل وعلي فهمي وسام مويو ومحمود ممداني وكلود أكي، وغيرهم،... وأذكر أنّ الأستاذ سمير أمين قاطعني بحدّة عندما كنت أحاضر، محتجّا على الموضوع ومضامينه التي بدت له « مائعة» و«تغريبيّة» وتحيد بمنظمّة «كودسريا» عن استراتجياتها البحثيّة التقليديّة ذات الطابع النضالي ضدّ الاستعمار والانحياز لقضايا التنمية في إفريقيا، موجّها اتهامه نحو الكاتب العام للمنظّمة Achille Mbembe. وفي الواقع لم أكن أعلم طبيعة الخلاف الإيديولوجي الحادّ الذي كان قائما في المنظمة بين جيلين من الباحثين حول ضرورة مواصلة النهج البحثي الماكروسوسيولوجي التقليدي المناصر لقضايا التحرّر في إفريقيا، أو تطويره نحو مواضيع أقرب إلى الواقع النفسي والاجتماعي والمعيشي للمجتمعات الإفريقيّة، وأنّ قطبي هذا الخلاف العميق في المنظّمة هو بين مجموعة من الباحثين والمنخرطين بقيادة الأستاذ سمير أمين باعتباره من أوّل المؤسّسين وأبرز مصمّمي سياساتها البحثيّة النضاليّة، من جهة، والسكريتير العام للمنظمة آنذاك (2000 – 1996) Achille Mbembe ومجموعة من الباحثين،

من جهة أخرى. ولمّا عدت إلى تونس،اتّصلت بالأستاذ عبد الوهاب بوحديبة وأعلمته بما حصل لي، فأشار عليّ بالمواصلة والنشر وعدم الاكتفاء بتقديم المحاضرات، لانّ النشر وحده كفيل بإعطاء المشروعيّة العلميّة لأيّ بحث. وعملا بنصائحه، نشرت مقالا حول نفس الموضوع بمجلة Codesria بعنوان Foi et jouissance en Islam

وقد ناقشت فيه بعض الآراء المتحفظّة التي تبنّاها الأستاذ بوحديبة سابقا، وحاولت إثبات أنّ مفاهيم اللذة والمتعة الجنسيّة ممكنتان أيضا في إطار نظام الجنسانيّة الحديثة.

وقد مثّل هذا المقال المنشور سنة 1999 وما أثاره من نقاش لاحق، سببا رئيسيّا في التعريف بي إفريقيّا وتحقيق انتمائي الفعلي ضمن كوكبة من الباحثين المجدّدين لاستراتيجيات البحث العلمي في منظمة كودسريا، واختياري لاحقا في إطار الجلسات الانتخابيّة العامة كعضو مكتب تنفيذي مرّتين على التوالي (وذلك بموافقة الأستاذ سمير أمين في دورة 2015-2018)، والذي أقرّ لي ذات يوم بأنّ العلوم الاجتماعيّة مدعوّة فعلا إلى تطوير مضامينها. لذا فانّي أعتبر أنّ للأستاذ عبد الوهاب بوحديبة ، فضلا كبيرا في توجيهي علميّا من خلال كتاباته ونصائحه، وأعتبره بحقّ رائدا ومجدّدا للفكر السوسيولوجي التونسي والعربي الإسلامي والإفريقي بصفة عامّة في كلّ أبعاده المعرفيّة.

في حضرة الصوت المهيب

فتحي التريكي

رحم الله أستاذي عبد الوهاب بوحديبة.

كان حقيقة من كبار المثقّفين والأكاديميّين التونسيّين الذين أثّروا أيّما تأثير في تطوير العلوم الاجتماعيّة والإنسانية بالجامعة التونسية وخارجها. كان مثقفا وطنيا ومناضلا راقيا ودودا منفتحا عميقا في فكره كريما في معاملاته مع زملائه وطلبته.

وببالغ الأسى وبكثير من المحبّة وتكريما لروحه الطاهرة أريد أن أشهد له هنا على نبل أخلاقه وعمق حرفيّته في التعامل معي عندما كنت طالبا ثمّ مدرّسا وأستاذا وباحثا. فأنا أدين له بإنقاذي من مخالب الإداريين في وزارة التربية سنة 1975 عندما أرادوا معاقبتي بنفيي وتسميتي في معهد على الحدود الجزائرية بدون وجه حق بعدما كنت أدرّس في معهد فطومة بورقيبة بالمنستير لأني كنت فاعلا في تنظيم أوّل إضراب قام به سلك الأساتذة آنذاك منذ الإستقلال. وما زاد الطين بلة أنّ الإضراب نجح في هذا المعهد بنسبة عالية جدا. عندما لم أجد سندا في محنتي حتى من أقرب أقربائي توجّهت إلى أستاذي المرحوم عبد الوهاب بوحديبة الذي كان يعرف حقّ المعرفة مؤهلاتي العلميّة ولكنّه كان يعرف أيضا أني يساري ماركسي معارض نظمت مع زملائي جلّ الأحداث الكبرى التي وقعت في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة سنوات 67 و68 و69 وكان شاهدا على ذلك. ولم أكن أتوجه له لو لم تكن لي قناعة بأنّه متفتح الفكر نبيل الأخلاق لا يخلط بين العلمي والسياسي. استقبلني بحفاوة وتحدّثنا عن الفلسفة في تونس وكان التعريب آنذك قضيّة الساعة وهو الذي كان يباشر هذه العمليّة بقناعة وإتقان. عبّرت له عن رفضي لهذه العمليّة المتسرّعة الناتجة عن قرار سياسي وتوجّه أيديولوجي ارتكاسي وأعلمته بأني سأواصل تدريسي الفلسفة باللغة الفرنسيّة. وكانت هذه الإمكانية واردة حسب تعليمات الوزارة بالنسبة إلى تلك السنة الدراسية. استمع بكل جدّية إلى موقفي وإلى تعليلي

ثمّ أسهب في توضيح موقفه وكاد يقنعني لولا تحجّر بعض مواقفي اليساريّة. عندما عرضت عليه معاناتي مع الوزارة ولم أحجب عنه شيئا أخذ قلمه وكتب رسالة إلى مدير التعليم الثانوي مدافعا عني. وهي الرسالة التي أعادتني إلى التدريس غير بعيد عن تونس العاصمة ورفعت عني مظالم الوزارة.

وفي السنة الموالية ورغم موقفي من سياسة التعريب، عندما عُرض على أعضاء قسم الفلسفة ملف انتدابي كان المدافع الأوّل عنه لأجد نفسي مساعدا بالكلّية التي درست فيها وناضلت بدون هوادة حسب قناعاتي الفكريّة والإيديولوجيّة. ومازلت أذكر كيف استقبلني بحفاوة في أوّل اجتماع القسم الذي كان يرأسه وأعلن أمام الأساتذة الحاضرين وكان جلّهم من الفرنسيين ماعدا المرحومة الأستاذة فاطمة الحداد والمرحوم الأستاذ عبد المجيد الغنوشي والمرحوم الأستاذ محمد قشيش أنّ القسم سيشرع في تعريب الفلسفة الغربيّة وأوكل لي هذه المهمّة بأن أعرّب درس أفلاطون للسنة الأولى. ورغم أنّ تخصّصي من خلال أطروحتي في المرحلة الثالثة تمثّل في الفلسفة السياسية الغربية الحديثة والمعاصرة فإنني رحّبت بالفكرة وشكرته باعتبار أنّ التعريب في الجامعة سيكون مرحليّا وأكاديميّا بحتا مع المحافظة على التدريس آنذاك باللغتين الفرنسية والأنجليزيّة. كما كلّفني بدرس في فلسفة العقد الاجتماعي للسنة الرابعة باللسان الفرنسي.

كان المرحوم عبد الوهاب بوحديبة يتابع مسيرتي العلميّة منذ ذلك الحين بل كان يشرّكني في كلّ الملتقيات التي ينظّمها مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس والتي تهتم بالفلسفة والثقافة والإنسانيات. كان يؤطرني وزملائي من بعيد دون التدخّل في قناعاتنا الفلسفيّة وتوجّهاتنا العلميّة. ولا أذكر بالنسبة إليّ أنّه استبدّ في رأي أو قرار أو موقف. كان ديدنه الحوار ولاحترام والانفتاح. وكم كنت فخورا عندما ساندني في تكوين كرسي اليونسكو للفلسفة بجامعة تونس فألقى درسا مهمّا جدّا باللسان الفرنسي حول مفهوم الغيريّة في الحضارة العربية الإسلامية وكان ذلك يوم الخميس 17 ديسمبر 1998 بقاعة القرمادي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 9 أفريل بتونس. وقد صدرت المحاضرة في كتاب بباريس عن دار أركانتير وترجمه بنفسه وأصدره في كتاب عنوانه **القصد في الغيريّة** عن دار الوسيطي للنشر بتونس سنة2001. وأذكر أيضا أنّه فرح كثيرا

عندما زرته مع زميلي محمد محجوب ببيته نعلمه بتكوين معهد تونس للفلسفة ونطلب منه افتتاحه وكان ذلك بمحاضرة عامة في قصر السعيد بباردو في أفريل 2019 بمحاضرة حول العلاقة بين الثقافة والفلسفة.

وفي واقع الأمر دأبت على التفاعل مع كلّ البرامج التي عرضها عليّ منذ أن أصبحت جامعيّا عندما ترأس قسمي الفلسفة وعلم الاجتماع أو عندما كان مدير مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية أو عندما أصبح رئيس مجمع بيت الحكمة. تفاعلت معه باحترام ومحبّة وشرف وغبطة. ولعلّ هذه الطيبة التي صبغت علاقته بي شخصيا أجد تجسيدا لها في تجاعيد فكره وفلسفته.

قد لا يسمح المجال هنا بالتعمّق في فلسفة بوحديبة ولكنّنا نسوق ملاحظة أساسيّة على ضوئها يمكننا فهم مقاصد فكره ومعطياته. فلسفة بوحديبة هي فلسفة أصيلة ذات ثلاثة أبعاد. يتحدد بعدها الأوّل في التّحليل الاجتماعي والثقافي والنقدي الذي نجده في جلّ كتبه والذي يربط دائما بين الدّعوة الملحّة إلى استقصاء الظواهر الاجتماعية بالأساليب التقنيّة العلميّة والارتقاء إلى التنظير استئناسا بمفاهيم الفلسفة والدعوة إلى أن نعيش بشكل أفضل. ويتمثّل البعد الثاني في مقاربة معطيات الدين الإسلامي من خلال قاعدة إيثيقيّة نلخّصها بمفاهيم مسكويهيّة ونعني المسالمة والسماحة والمسامحة. ويرى بوحديبه أنّ هذه القيم هي كنه الدين الإسلامي وكلّ قراءة متشدّدة للإسلام وللقرآن تؤدّي حتما إلى فهم مغلوط وإلى التعصّب والعنف. أمّا البعد الثالث فقد تمحور حول فكر فلسفي كونيّ أصيل يعتمد مظاهر الحياة اليوميّة وتعابيرها وآمالها لا محالة ولكنّه يرقى بها إلى الكمال الإنساني.

هذه المطالب الثّلاثة غير مقطوعة عن الحاضر، وغير مقطوعة عن التراث ففيلسوفنا يقصد بها استئصال أسباب العنف في تفكيرنا ومواقفنا والطموح إلى الكونيّة، كونيّة القيم الإنسانية المتجسدة في الحرّيات والحقوق. وقد توخّى في كلّ كتاباته باللسان العربي وباللسان الفرنسي قوة العبارة ومرونة الأسلوب ودقّة المعنى مشخّصا أمراض الحاضر ومقاربا تمظهراته باحثا عن حلول تعيد للإنسان كرامته المتأصّلة في كيانه.

ولابد أن أشير هنا أنّ كتابه **القصد في الغيرية** الذي لم يحظ للأسف باهتمام خاص والذي هو في الأصل كما ذكرت أعلاه محاضرة على منبر اليونسكو بجامعة تونس هو الكتاب الذي يلخّص جوهر تفكيره في الهوية والغيرية والحضارة والثقافة والإنسان. بوحديبة هو أوّل تونسي تحصّل على التبريز الفرنسي في الفلسفة. وفضّل التخصّص في علم الاجتماع ولكنه في رأيي قد أسّس تيّارا فلسفيّا جديدا في تونس هو الفلسفة الاجتماعيّة والثقافيّة. فالرجل قد ساهم أيّما إسهام في طرح إشكاليات فلسفية اجتماعية عميقة في تونس وعلى الساحة العربية تهمّ قضايا مصيرية كالحداثة والتراث والحرية والوعي والثقافة وغيرها من القضايا التي مازلنا نخوض في محتوياتها ومستتبعاتها. رحم الله أستاذي عبد الوهاب بوحديبة صاحب الكلمة الحرّة والعقل الرصين.

بَيْنَ بُعْدٍ... وَقُرْبٍ...

منير السعيداني

يوم التقيتُ أستاذي، سي عبد الوهاب، بعد سنوات عديدة لم أره فيها، في القاعة الكبرى بمقر بيت الحكمة، سنة 2006، بادرته بالسلام، وقدّمت نفسي ثم قلت له «لا أزال أذكر الكثير من تفاصيل درسك، رغم أنني لم أدرس على يديك إلا ثماني ساعات ونصف». ابتسم وأجابني «فيه البركه».

كنت أقصد درس علم اجتماع القِيَم الذي بدأ بإلقائه علينا، سنة 1993، ضمن دروس شهادة الدراسات المعمّقة في علم الاجتماع، ولسببٍ ما، لم يتمّه. حينها، ارتسمت في ذهني تفاصيل ظلّت ذاكرتي تحفظها إلى الآن: دخوله قاعة الدرس بخطوٍ وئيدٍ، توجّهه إلى المكتب وجلوسه إليه بوقار، كما أكاد أقول، نزعه ساعته اليدوية ووضعها قبالته، ونشره إضبارة بها أوراق متوسطة الحجم بها خطوط كتابةٍ قليلة. لم تكد هذه التحضيرات تكتملُ حين شَهدْتُها أوّل مرة إلا وقد استقر في ذهني أنّها طقوسٌ، وأنها تقتضي أن أجيب طَقْسًا بِطَقْس. اعتدلتُ أكثر في جلستي، وأحكمت رَصْفَ أوراقي البيضاء، وجهّزت قلَمي فِي استعدادٍ لتسجيل الملاحظات. وظلّ ذلك دأبي خلال الحصص الموالية.

في تلك السنة، كنت قد عدت إلى مقاعد التعلّم في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، كما صارت تسمّى، بعد انقطاع دام عقدا كاملا. وكانت تلك مناسبة اقتربت فيها ممّن ظلّ منّي على بُعْدٍ طوال سنين اشتغالي الأوّل بعلم الاجتماع دراسةً. فعلى امتداد سنوات الإجازة الأربع، لم أتلق درسا لدى سي عبد الوهاب، ولم يستقرّ لديّ عنه إلا الانطباع الذي حَمَلَتْه إليّ أحاديث الطلبة عنه، ومطالب خلاياهم النقابية المؤقتة وتعابيرهم عن بعض روح التمرّد لديهم. وكان من شأن ذلك أن أشعرني بأنني على بعض بُعد منه. ولدى تسجيلي في شهادة الدراسات المعمقة، أخذ ذلك البعد في التلاشي، من خلال درسه أساسًا، ولكن وأيضا من خلال اسمه الذي كانت بيليوغرافيات الدروس الأخرى تحفل به.

في درسه كان صوته يتماوج صاعدا نازلا، ولكن بجَهْوَرِيَّتِه التي لم تعد أذناي تخطئانها منذ اللحظات الأولى. وعلى امتداد ارتجالاته المنسابة كان يتنقّل بين أسماء الأكاديميين والباحثين وعناوين الكتب والمقالات ومتون النظريات، وهو يعرض صنوف المادّة التي سوف تكون موضوعا للشرح والتفسير والتأويل. بل هو لم يكن يقتصر على هؤلاء، حيث أذكر أنه استحضر قَوْلَة الفنَّان السّاخر Raymond DEVOS التي جاء فيها « Mon pied droit est jaloux de mon pied gauche. Quand l'un avance, l'autre veut le dépasser. Et moi, comme un imbécile, je marche!» ولم تكن تلك مجرد مُلحة، بل تحفيزا للفكر حيث أردفها بتأويل جميل. وعلى امتداد استعراضه للأسماء تيقنتُ أنه لا يتحدث عنهم بل يتحدّث إليهم متخذا من الدرس تِعِلَّةً، كما أكاد أقول، للانخراط في محاورات تاريخية وفلسفية وعلمنفسية وأنتروبولوجية، يضعها في عصارة سوسيولوجية، فصيحة عربيّتها بليغة فرنسيّتها. وفي درس علم الاجتماع الحضري الذي كان يؤمّنه لنا الأستاذ فرج السطمبولي، كان كتاب سي عبد الوهاب حول المدينة العربية في الإسلام [1] بالنسبة إليّ اكتشافا أذكر جيِّدًا أنه غيّر فهمي لقضايا التحضر في المدينة العربية، لا فحسب بل وكذلك علاقتي بالمْدِينَه الْعَرْبِي التي كنت أعبرها في طريقي من الكلية في شارع 9 أفريل بالعاصمة إلى المْدِينَهْ السُّورِي بداية من بَابْ بْحَرْ.

لاحقا، وعند اشتغالي على رسالة الدكتورا، في ما بين 1995 و2000، كنت بين ماطر ومنزل جميل وبنزرت، وكان سي عبد الوهاب بعيدا عن ناظريّ، ولكني عاشرت أسابيع متتالية كتابه حول المخيال المغاربي من خلال الحكايات التي

1- *La ville arabe dans l'Islam : histoire et mutations*, Actes du 2ème colloque de l'ATP «Espaces socio-culturels et croissance urbaine dans le monde arabe», mars 1979 / [organisé par le] Centre d'études et de recherches économiques et sociales, Université de Tunis [et le] Centre national de la recherche scientifique, Tunis, (Dir. Avec Dominique Chevalier), CERES Tunis et CNRS Paris, Impr. Al Asria, 1982.

تُروى للأطفال فتشكل تصوراتهم للكون وللحياة[1]. كنت أشتغل على الأنا والآخر في الفكر التونسي الحديث والمعاصر وأرشدني الكتاب إلى أن عليَّ أن أُرَاعِيَ مستوياتٍ ثلاثةً في معالجة تشكل التمثّلات، هي النّفسي فالسوسيولوجي فالأنتروبولوجي، مُرَاوِحًا انقطاعاتِها النّفيذة بعضها عن/ إلى بعض، جيئة وذهابا. وفي الأثناء عثرتُ، عن طريق لم أعد أذكر تعرّجاته، على نصّه حول العرب والألوان [2]. باطلاعي عليه، تلوّنت عيناي بأثر ما يسمّيه فيه سي عبد الوهاب «الأنماط الثقافية في تمثل/ إدراك الألوان» مركِّزًا على اختلاف إدراكاتها العربيّة الإسلامية عن إدراكاتها المسيحية، بحيث يمكن اعتبار تلك الأنماط اختبَارًا للانتماء إلى هذه الثقافة أو تلك، وعلى الأخصّ باعتماد الأزرق والأخضر [3].

وبعبوري للطّريق التي عبّدها لي هذان النصّان صرْتُ، كما أحسبُ، أقرب إلى إدراك عمق التفاعل الثقافي الصانع للاجتماعي في تجسده النفسي وترسخه الأنتروبولوجي، على امتداد تباين تضاريس الثقافات والمجتمعات. وقد كان ذاك هو المعنى الذي تعمق لديّ عندما بدأتُ في التعامل مع نصوص جاك بيرك، وكان المشرف على رسالة سي عبد الوهاب للدكتورا حول الجنسانية في الإسلام

1 – *L'imaginaire maghrébin. Etudes de dix contes pour enfants*.
وهو في الأصل بحث جامعي أعده عبد الوهاب بوحديبة لاستكمال متطلبات التخرج، وذلك سنة 1972، في جامعة باريس ديكارت، تحت إشراف روجي باستيد، وكان في مجلد واحد من 250 صفحة. نشر كتابا لدى الدار التونسية للنشر سنة 1977 وأعادت دار سيراس للنشر طبعه سنة 1994.

2 – « Les Arabes et la couleur », Extrait de *Culture et Société*. Publications de l'Université de Tunis 1978. Faculté des lettres et Sciences Humaines de Tunis, Sixième série : Philosophie et Littérature. Volume XII. (Reproduit in, *Cahiers de la Méditerranée*, n°20-21, 1, 1980. Recherches d'ethnosociologie maghrébine. pp. 63 - 77).

3 – Il en conclut : «Dis-moi comment tu perçois le bleu ou le vert et je te dirai qui tu es...»

(1972)، وعلى الأخص منها كتابي **العرب بين الأمس واليوم**[1]، و**المغرب بين حربين**[2].

لاحقا، تمكّنت من الاطلاع على نصوص أخرى مكنتني من قرب أكبر من سي عبد الوهاب. عنيتُ هنا على الأخصّ بحوثه في الدين في جدليات علاقاته بالثقافة والمجتمع[3] وفي الغيرية العربية الإسلامية[4]. لم يكن اطّلاعي على هذه النصوص وغيرها متوافقا مع تواتر صدورها، ولا متابعا لتسلسلها الزمني، ولذلك، كانت قراءتي لها نوعًا من النَّوَسَان بين اقتراب من فكر سي عبد الوهاب وبعدٍ عن سي عبد الوهاب ذاته. والآن وأنا أستعيد مناسبات اللقاء الوُجَاهيّ بيني وبينه أكتشف أنها كانت بين بُعْدٍ... وقربٍ: مع البعد في المسافات الذي ظل يزداد ويتسع، ظل القربُ البحثي يتّضح أكثر فأكثر ، وهو ما صرت أوْعَى به على مرّ السنين.

عند عودتي منذ سنتين، وبمناسبة اشتغالي على فرانز فانون، إلى نصّ قديم لسي عبد الوهاب حول نظريّة نقض الاستعمار[5] قرأتُ فيه أنه لاحظ الحاجة الماسة إلى هذه النظرية في زمن كان فيه البحث، بما هو ميدانيٌّ خِبْري في حَمْأَة الفعل، يغرق في اليومي، بحيث تغيب عنه حركة المجتمع وهو ينقدُّ وينحلّ، مُتَهَيْكِلًا في بنيته، ناقضا غزله، معيدا نسيج سُدَاه ولُحْمَتِه[6]. في النصّ، انطلق سي عبد الوهاب من نصٍّ لجاك بيرك [7] التقط منه إشارة كاتبه إلى أن انبناء التحرّر

1 – Jacques Berque, Les Arabes d'hier à demain. Editions du Seuil, Paris, 1960.

2 – Jacques Berque, Le Maghreb entre deux guerres, Editions du Seuil, Paris, 1962.

3 – لأفهم. جدليات المجتمع والثقافة والدين، الدار التونسية للنشر، 1992.

4 – القصد في الغيرية. بحث في التجارب العربية الإسلامية، الوسيطي للنشر، تونس، 2001، 74 صفحة.

5 – « A propos d'une théorie de la décolonisation », in, Revue de l'Institut de Sociologie (Université libre de Bruxelles), Bruxelles, no 2-3, 1967, pp 231-240.

6 – *Ibid*, p 231.

7 – Jacques Berque, Dépossession du Monde, Editions du Seuil, Paris, 1964.

القومي على ثلاثية الأصالة والثورة والبعث يمتد سحيقا إلى نوع من «الجَيَشَان الأنتروبولوجي»، هو أوسعُ وأعمقُ وأكثرُ مساسا بالبَدْئِيِّ مما يَتَسَنَّى للتّاريخيِّ وللاجتماعي أن يُدْرِكَاَ. ولا يدع سي عبد الوهاب الإشارة تمرُّ من دون أن ينبّه إلى أنها تُحيل على معنى البحث الخِبْرِيِّ الفائق كما نظّر له جورج غورفيتش الذي تتلمذ سي عبد الوهاب على يديه وكانت له معه لقاءات لاحقة، ومنها هذا الذي تَطَارَح قضايا البناء الوطني الديكولونيالي، تلك التي لخّصتها المناقشة العامة التي دار حزء هامٌّ منها حول فرانز فانون، واشترك فيها غورفيتش[1] وكتب خاتمتها[2].

في هذا السياق، كانت عودتي إلى ما كتب سي عبد الوهاب سنة 1967 مناسبة لألاحظ أنّه استعاده في نصوص عقبته بحوالي ثلاثين سنة، منها ما اعتبر فيه أن التباعد مع لحظة بناء الدولة ما بعد الاستعمارية، يكشف ألاَّ مَوْضِع في نقض الاستعمار، من منظور البحث السوسيولوجي، للمُجاملة، بما أنّه استعادة للذّات، وتكفّلٌ بها، من خلال تعريج ضروري على العرب سَلْكُهُ من أجل استعادة المبادرة العلمية ومن ثمّ التاريخية، بحيث تكون القطيعة مزدوجَةً: مع الماضي ومع المهيمن، في آن معًا[3]. ومرة أخرى... وجدتُني أقرب إلى سي عبد الوهاب مما كنتُ أحسب، ووجدته راهنا أكثر مما كنت أظنُّ.

آخر اتصال لي بسي عبد الوهاب كان بتاريخ 21-09-2020 وفيه دَعَوْتَه إلى تشريفي في حصّة من حصص المشروع البحثي «مراجعات تونسية في علم الاجتماع» الذي يستضيف فيه «مخبر بحوث في التنوير والحداثة والتنوع الثقافي» بالتعاون مع «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-تونس»، روّاد علم الاجتماع التونسيين. أَكْرَمَني بالموافقة وتكرم عليَّ بِدَعْوَتِي إلى زيارته، وتواعدنا

1 – « Discussion générale », in, Revue de l'Institut de Sociologie (Université libre de Bruxelles), Bruxelles, no 2-3, 1967, pp 537-560.Y ont participé G. Balandier (président), J. Berque, G. Gurvitch, P. Rybitski, A. Memmi, Goriely, F. Stambouli, E. Sicard, Lekovic, Hamon, L. Goldman,

2 – *Ibid*. Conclusion générale, p. 561 et sqtes.

3 – Quêtes sociologiques. Continuités et ruptures au Maghreb, Cérès éditions, Série Enjeux, Tunis, 1995, p.16.

على مُعاودة الاتصال. ولكن، مرة أخرى، تفرض عليّ الأيّام بُعْدًا جَسَدْيًّا عن سي عبد الوهاب، أبديًّا... هذه المرَّة.

على ذلك، لِيَكُنْ نصّي هذا خطوة أخرى لمزيد الاقتراب منه.

دردشات مع مثقف استثنائي

عبد العزيز قاسم

كنت أود أن تكون مداخلتي إضافة حقيقية لدراسة فكر فقيدنا الكبير عبد الوهاب بوحديبة من خلال بعض مؤلفاته الأساسية من كتب ومقالات ولكني كنت في حاجة إلى مزيد من الوقت للقيام بعمل جدي. كنت أجل فيه رائد علم الاجتماع بأعلى المقاييس وقد تأتّى لي أكثر من مرة أن أرى المنزلة التي كان يحظى بها لدى نظرائه الأوروبيين. ولكن انتسابي إلى أهل الأدب كان يجعلني حساسا لتمكُّنِه من اللغتين العربية والفرنسية. كنت معجبا بثقافته الأدبية الشاسعة فلقد كان يعرف جيد المعرفة كلاسيكياته العربية والفرنسية وله إلمام واسع بالملاحم والتراجيديات الإغريقية واللاتينية فضلا عن الفلسفة التي هي من اختصاصاته أيضا.

عرفت الفقيد في بداية السبعينات إبان توليه إدارة مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية وتوطدت الصداقة بيننا من خلال لقاءات جمعتنا في بعض الندوات الأكاديمية وفي نادي بشرى الخير وفي معهد العالم العربي بباريس وفي بيته الكريم أيضا وبالتأكيد في بيت الحكمة حيث أشركني في عدد من الندوات الفكرية القيمة التي دأب على تنظيمها في هذه المؤسسة الجليلة.

وفي انتظار أن يتوفر الوقت الضروري لإنجاز ما أطمح إلى إنجازه من عمل في مجال التنويه بجانب من آثار هذا العلم التونسي أودّ أن أتذكّر هنا وأن أذكر بالمناسبة بعض المطارحات الفكرية التي جرت بيني وبينه. كانت في الحقيقة مطارحات خاطفة وفي فترات متباعدة ولكنها ليست بالقليلة حين أعدها وهي كثيفة حين أجمع بعضها إلى بعض.

عبد الوهاب بوحديبة كان يمكن أن يكون شاعرا كبيرا. ففي عز المراهقة مسحتْ على جبينه عرائس الشعر فتحركت فيه أوتار القوافي وتوترات الرؤى.

وفي سنة 1950 أصدر مجموعة شعرية صغيرة بالفرنسية بعنوان Les perles illusoires (اللآلئ الوهمية)، أقول صغيرة لأنها لم تتجاوز ثماني عشرة صفحة، أي بعدد سني حياته إذ ذاك. صحيح أن المراهقة هي سن تلقي الإرهاصات الإبداعية وهتافات المشاعر ولكن هذه الدغدغات لا تثبت ولا تستمر إلا عند القلة القادرة على المسك بنواصي اللغة لاستخراج ما يختلج في المهج. لم يكن النشر ميسورا قبل الاستقلال وبعيده حتى أن اتحاد الكتاب الذي يشترط في من يطلب الانخراط أن يكون قد أصدر كتابا واحدا على الأقل اضطر إلى قبول عضوية من نشر عددا من المقالات في الجرائد والمجلات. أن يُقْدِمَ عبد الوهاب بوحديبة على نشر مجموعته في الظروف الصعبة يدل على مدى إلحاح الكلمة الواثقة من جدارتها بالحضور. أردت أن أركز قليلا على هذه «اللآلئ» ولكن لم أعثر عليها في دار الكنب، مع الأسف الشديد، إلا أنها مشار إليها إلكترونيا وفي بعض الدراسات ضمن أعمال صاحبها. ولقد سبق لي أن تصفحت المجموعة في سبعينات القرن الماضي إذ أطلعني عليها صديق مشترك هو طبيب مدينة أريانة الشهير المرحوم الطاهر بن عز الدين وكان مثقفا يمتلك مكتبة ثرية تختلط فيها التآليف الطبية والعلمية بكتب التاريخ وبروائع الأدب والفنون. ما بقي عالقا بذهني من هذا الأثر المبكر الضائع هو أنه بلغة فرنسية متينة محكمة تعبر عن مشاعر حارة محكومة.

في أحد لقاءاتنا سألت الأستاذ بوحديبة عما إذا كان لهذه المجموعة من أخوات أخرى تنام في الدرج ولماذا قرر لجم المنازع الواعدة وهل الإيغال في التخصص من شأنه إقصاء العواطف وما تتطلبه من معاناة الإفصاح والصناعة وقديما اشتكى ابن خلدون من أن حفظ المتون خدش القريحة. قال «إن الشعر الرفيع يُلزِم بالتفرغ» واستشهد بعدد من الشعراء القدامى والمحدثين من أمثال أوفيدوس (Ovide) إلى مالارمي (Mallarmé) او فاليري (Valéry) غربا أو المعري إلى جبران وقباني شرقا. «كلهم نذروا جل أعمارهم لمحنة الأوزان « بحسب تعبيره. ثم أضاف: «بالنسبة إليّ، فإن القريحة لا علم الاجتماع خدشها ولا الفلسفة جففتها. على العكس من ذلك يظل الشعر من همومي الفكرية الدائمة»

في لقاء آخر استنجدت برأيه إزاء موضوع كنت أعالجه. ذلك أني دُعيتُ إلى المشاركة في ندوة دولية تنعقد بمدينة لياج البلجيكية بعنوان «الشعر والفلسفة» فتهيَّبْت وخِفتُ أن أقع في العموميات. طلبت منه إذن أن يدلني إلى بعض المراجع الفلسفية في الغرض. قال: أنصحك بأن تبقى في إطارك الطبيعي، وأن تستشهد بما فكّر فيه كبار الأدباء فالأدب يؤدي عبر مسالكه إلى كل المحطات. وأنت لست في مجال العمل المطلوب بحاجة إلى المفاهيم والنظريات والمصطلحات.» وأشار عليّ بالعودة إلى كتاب **الشعر والحقيقة** لغوته (Poésie et Vérité de Goethe) وإلى كتاب آخر غير متداول لأحد شعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين يكاد لا يعرفه إلا أهل الذكر وما كان ليتواصل ذكره لو لم يجعل منه السرياليون أحد أئمتهم، وهو المعروف باسمه المستعار لوتريامون (Lautréamont) وصاحب «أناشيد ملدورور» (Les chants de Maldoror) وقد سبق أن قرأته. إلا أني ما كنت لأقرأ كتابه **أشعار 1 و2** (Poésies I et II) الذي نشره باسمه الحقيقي إزيدور دوكاس (Isidore Ducasse)، لولا توجيه فقيدنا العزيز. وكأني به بل أكاد أجزم بأنه أراد أن يدفعني إلى مناقشة رأي الكاتب الذي يقول فيما يقول: «إن الأحكام على الشعر أكثر قيمة من الشعر نفسه. إنها فلسفة الشعر. والفلسفة بهذا المعنى تتضمن الشعر. وليس بوسع الشعر الاستغناء عن الفلسفة. أما الفلسفة فبمقدورها أن تتخلى عن الشعر». وطاب لي أن أجادل «لوتريامون» في تقييمه ولما عدت من سفري قدمت نسخة من مداخلتي للفقيد قائلا: أستاذي هذه مقالتي. فابتسم ودارت بيننا فيما بعد مجادلات حول هذا الجدل. وتلك حكاية أخرى.

وفي مجال حساس آخر، كنت عضوا بديوان وزير التربية، لما تقرر تعريب الفلسفة وكنت أنا الصوت النشاز في جوقة التأييد. وبقيتْ الشوكةُ في حلقي إلى أن طرحت السؤال على صاحبنا. قلت له: سي عبد الوهاب، أنت أيَّدتَ تعريب الفلسفة وأشرفت على المناهج الجديدة ومثلك لا يجامل في القضايا الفكرية المصيرية، فكيف قبلت ذلك؟ قال لي: «اللغة العربية، لغتنا الرسمية وهي، من حيث المبدأ، قادرة على الاضطلاع بتدريس هذه المادة وقد أثبت ذلك الكثير من أساتذة الفلسفة عندنا.» قلت: أما كان لنا أن نتريث؟ قال: « فات الأوان. كل المتفقدين الوافدين من فرنسا بالخصوص أجمعوا على أن تلاميذنا في الأقسام

النهائية أصبحوا قاصرين عن فهم الدروس بلغة موليير. وهذه معضلة تتفاقم سنة بعد أخرى. فمن هنا نبدأ إذا أردنا إصلاح المنظومة التربوية». وأضاف أن الفيلسوف هنري كوربان (Henry Corbin)، (مكره أخاك لا بطل)، نصح، بعد زيارته للعديد من معاهدنا، بتعريب الفلسفة. وتطرقنا إلى أن حوار الحضارات لا يمكن أن ننخرط فيه بما يكفي من النجاعة والتكافؤ إذا كنا لا نحسن اللغات.

حوار الأديان الذي يندرج في صلب الحوار الأوسع درءا لصراع التدمير الشامل في هذا الزمن المتوحش، مدين لإسهامات الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة في هذا المجال ولا يسعنا إلا أن ننوه بندوات الحوار الإسلامي المسيحي التي أقامها والتي ستظل مرجعا أساسيا لاستئناف الحوار بين الشرق والغرب.

كان مفاوضا مثاليا بالمعنى الإنساني واسع الصدر جعل من المصالحة والتسامح والتفهم أركان استراتيجية العلاقات البشرية على مستوى النخب الفاعلة. عندما نذكر في أوساطنا الثقافية، على سبيل المثال، حماقات باسكال (Pascal) بخصوص الإسلام أو تحيّزات رينان (Renan)، غالبا ما تكون ردود الفعل عندنا شتما وتشهيرا بخبث الغرب عدو الإسلام والعروبة. أما المرحوم عبد الوهاب بوحديبة فكان لا يخرج عن دائرة الهدوء والحكمة فيقول: يجب قبل كل شيء أن نقدر علمهم ولا ننسى أنهم أبناء زمانهم يبنون مواقفهم على ما توفر لديهم من معطيات ومصالح وما علينا إلا إيصال المعلومة الصحيحة والمجادلة بالتي هي أحسن بدل أن ننطوي على حقائقنا حاقدين لاعنين.

في حضرة الصوت المهيب

مهدي مبروك

رحم الله أستاذنا الفاضل عبد الوهاب بوحديبة / معلم الأجيال

جلست لأول مرة أمام أستاذنا الجليل طالبا بقسم علم الاجتماع بداية الثمانينيات، كانت الجامعة التونسية آنذاك فضاء للعلم المعرفة لكن أيضا كانت حلبة للاحتجاج الذي شابه كثير من العنف. كان عدد طلبة الفصل لا يتجاوز تقريبا 15 طالبا وكان البعض من أساتذتنا يتذمرون من ارتفاع العدد .

كان صخب الجامعة وتحديدا بكلية الآداب منوبة آنذاك نادرا ما ينكسر على جدران بعض من أساتذتنا الأجلاء وعلى رأس هؤلاء أستاذنا الجليل الراحل سي عبد الوهاب بوحديبة. كانت حصته قلعة لا يخترقها ذلك الصخب، صوته بنبرته المميزة هو الوحيد الذي يظل مسموعا. لقد استطاع بمعرفته العميقة ووقاره المميز وهدوئه المهيب أن يبني جدارا سميكا غير مرئي يلزمنا أمكنتنا طلاب علم حتى يتضاءل حجمنا أمام قامته المديدة . فقط صوته الهادئ ينساب في قاعة صغيرة جدرانها من خشب خفيف .. ثمة جدار سميك وحاجز مهيب لنا في حصة سي عبد الوهاب حصنا وقلعة معرفة. كانت حصصه علاجا لعقلنا الجامح والمتوتر . كلام سي عبد الوهاب الهامس وهو يلقي درسه يريحنا ولو قليلا من الطواحين التي تجعجع في أفئدتنا هديرا بلا حمل.

ونحن لم نتخط عتبة العشرين إلا ببضع سنين كانت ثقافتنا في جلها قد تشكلت مما نطالعه من كتب مؤدلجة يسارا ويمينا .. أما الدرس فهو للامتحان غير أنه ثمة دروس تفتح لك نافذة على الحياة حتى ولو أخفقت ولعل منها درس الأستاذ بوحديبة .

لم يكن الأستاذ بوحيدبة في درسه يحيل الى مؤلفاته مطلقا ولم يذكر لنا يوما في البيليوغرافيا التي عادة ما يقدمها في مخطط درسه أحدا من كتبه الصادرة

آنذاك : الإسلام والجنسانية ، الثقافة والمجتمع ..... كان كلّما دخلنا علينا الفصل يجلب كتبا عديدة يضعها على مكتبه ثم يشرع بين الحين والآخر تدريجيا في إملاء الشواهد مباشرة من الصفحات التي اختارها مسبقا ووضع عليها إشارات ملونة ولا أذكر انه فتح مرة كتابا له. ولا أزال أسأل لم فعل هذا؟ هل يكفي أن يكون التواضع مفسّرا لهذا السلوك؟

للأستاذ بوحديبة قدرة نادرة قلما توفرت في غيره وهو احتضان طلبته دون وصم مسبق مهما كانت خلفيتهم أو مواقفهم ..فلا أذكر له أن عاتب أحدا منا أو لامه عما كنا نقوله ولم يكن أيضا يقدم مواعظ ودروسا .... يذيب سي عبد الوهاب تلك الوقائع التي تشغلنا حتى تبدوَ صغيرة فيخجل منها ونخجل من ذواتنا وصراعاتنا على فراغ عقيم .. فلا نعثر لمعاركنا على أثر فيما يقول. غادرت مقاعد الجامعة عند مستوى الأستاذية وعدت للجلوس أمامه من جديد في دروس المرحلة الثالثة .. وكان ذلك تقريبا سنة 1987 بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية (9 أفريل) هذه المرة، وكانت سنة مفصلية في تاريخ الجامعة والبلاد عموما ...توالى العمداء بعد ذلك على الكلية لأسباب عديدة، ومع ذلك حافظ سي عبد الوهاب على هيبته ووقاره واحتضانه للجميع . ولكن ظلت طقوسه ثابتة: نبرة هادئة ووديعة وهيبة تعيد بناء قلعة تفصلنا عن صخب تلك الحقبة. صمت جليل يخيّم على القسم كلما شرع في الحديث ولا أذكر أنه صد أحدا من طلابه حين يناقشه ..

درَّسنا الراحل في المرحلة الثالثة قضايا التنمية والثقافة. ثمة أشياء طفيفة تغيرت في سي عبد الوهاب ربما كان يرانا قد نضجنا لمجرد دخولنا هذه المرحلة، فلأول مرة ذكر لنا في دروسه العميقة مواقف خاصة اتخذها تجاه خيارات كبرى عمدت إليها بلادنا : الموقف من السياحة، علاقاته مع بعض المسؤولين السياسيين ، بعض رحلاته وزياراته في مهام أممية ومنها زيارته الى كوريا خلال بداية الستينيات في مهمة باليونسيف للتحقيق في وضع الطفولة،وما كان يعتبره تفكيكا للاقتصاد الأهلي من خلال توريد البذور واتلاف بعض الصناعات الغذائية ... ربما هي المرات النادرة التي أبدى فيها أستاذنا الجليل مواقفه الرافضة لبعض التوجهات والخيارات الاقتصادية التي تبنتها الدولة خلال الستينيات والسبعينيات. كان

يذكر ذلك بالكثير من التحفّظ حيث ينتقي كلماته بعناية وحذر شديدين مع حفظ المقامات.

كان كتاب **الثقافة والمجتمع** الصادر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس سنة 1978 أوّل ما قرأت مما ألّف الراحل ولقد اطلعت عليه مباشرة حين شرعت في إعداد شهادة الدراسات المعمقة في حدود سنة 1988 أي عشر سنوات بعد صدوره . وأعتقد أنّه مثّل لي اكتشافا .استطاع هذا الكتاب ان يصالح معارفي السوسيولوجية المدرسية مع واقعي؛ إذ ظلت الكثير من الدروس ما عدى البعض منها تحيلنا خلال سنوات التكوين الجامعي الى مجتمعات أخرى وظواهر غير ظواهرنا . يغرس هذا الكتاب أرجلنا في طين مجتمعنا بقضاياه ومسائلة وحقائقه وأوهامه : أسكنني هذا الكتاب مجتمعي دون زهو أو مذلة في انفتاح على قيم عالمه . كانت اللغة التي كتب بها بعيدا عن الوضعية السطحية وكافة الدوغمائيات التي سادت آنذاك في الإنتاج السوسيولوجي العربي . إنه نص مفتوح على الفلسفة وعلم النفس والأنثروبولوجيا ودراسات المخيال والحكايات الشعبية. هل كان للنزعة الوضعية التي تيم بها البعض أن تفهم إغراء الألوان وغواية الروائح والعطور عند العرب وسحر «الأنوثة العربية» القاطنة فينا كما ورد في الكتاب.؟

ينهض الكتاب على مصالحة مع الذات واعتبار الإسلام موضوعا للدرس السوسيولوجي والأنثروبولوجي بعيدا عن استشراق الداخل. ويستفيد الكتاب من المعارف غير المعارف الأكاديمية المعهودة منها التقارير الصادرة عن منظمات دولية ولا أزال أعتقد ان إصلاحا تعليميا ما زال ينتظرنا ويقتضي من طلابنا وأقسامنا ان تدرس هذه التقارير الصادرة عن خبراء مرموقين حول العنف والجريمة والهجرة والطفولة والفساد والبطالة الخ (تقارير المنظمة العلمية اليونسيف ، المنظمة العالمية للهجرة ، البنك الدولي ..) كان سي عبد الوهاب قد نبهنا الى أهمية هذه المعارف.

صدر هذا الكتاب سنة بعد تأسيس الرابطة التونسية لحقوق الانسان ولم يكن غريبا أن يخصص مقالات حول الشباب وحقوق الانسان وهو الذي كان عضوا مؤسسا لها (صحبة د. سعد الدين الزمرلي وغيره). يقول في هذا الشأن « إنّ مئات

الملايين من البشر قد ضحوا من أجل هذه الحقوق وقد قبلوا أن يكونوا شهداء حتى يقنعوا بني جلدتهم ان هذه الحقوق مثل ظلت الأمم المتحدة منذ نشأتها تعمل جاهدة من أجل تكريسها ».

ليس هذا مقام تحليل هذا الكتاب ولكن لا شك ان كان له أثر في أجيال كاملة تربت على يدي المرحوم .

رحم الله أستاذنا الجليل وأسكنه فراديس جنانه.

عبد الوهاب بوحديبة
«إنّك لمن الماكثين»

محمّد محجوب

التّذكير أوّلا :

عبد الوهاب بوحديبة، المولود في صيف سنة 1932 بالقيروان، مبرّز منذ 1959، في الفلسفة، وهو على حدّ علمي من أوّل المبرزين، إن لم يكن أولهم، في هذا الاختصاص من التونسيين. وقد تحصّل قبل ذلك على الإجازة في الآداب، فالإجازة في الفلسفة، فالشهادة العليا في الأنثروبولوجيا، فالديبلوم العالي في الفلسفة.

هو التلميذ المباشر لفلاسفة ومفكرين كبار : مرلو بونتي، باشلار، هيبوليت، ألكيي، روجي باستيد، بول ريكور .. وغيرهم

دكتور دولة من جامعة السّربون منذ سنة 1972 بأطروحة رئيسية معروفة عن «**الجنسانية في الإسلام**» [La sexualité en Islam]، وبأطروحة تكميلية حول «**القصص التونسي للأطفال**» [Les contes tunisiens pour enfants].

أستاذ مبرز في المعاهد الثّانوية، ثم، بداية من سنة 1961، مساعد، فأستاذ مساعد، فأستاذ محاضر، فأستاذ كرسي، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، شارع 9 أفريل، ولكن كذلك في دار المعلّمين العليا، والمدرسة العليا للإدارة، وغيرها، وذلك في اختصاص علم الاجتماع الإسلامي والمغاربي، وعلم اجتماع التنمية.

من بناة الجامعة التونسية بإقامة قواعد أقسام الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النّفس بين سنتي 1964 و1982. تميّز عمله بإرساء التقاليد العلمية والبيداغوجية والبحثية التي ما تزال لحد اليوم بقوّتها الأدبية حاضرة ضمن عمل هذه الأقسام .

– بين سنتي 1966 و1968 : أول أستاذ كرسي التعاون الدولي لمنظمة الأوبلف، حيث درس في جامعات لياج، ولوفان، وأبيدجان، ومنريال، وداكار.

– من 1967 إلى 1983 : انتدب عضوا للهيئة الدولية لبيبليوغرافيا العلوم الاجتماعية، وشارك في إعداد 27 مجلدا في مجالات علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأنثروبولوجيا.

– من 1972 إلى 1991 : مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس [CERES].

– من 1991 إلى 1994 : كان عبد الوهاب بوحديبة مديرا مساعدا للثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبوجه عام فقد شارك في إطار هذه المنظمة في إعداد استراتيجية تطوير العلوم التقانية في الوطن العربي ، كما ساهم في تنقيح الخطة الشاملة للثقافة العربية ومراجعتها.

– من أكتوبر 1995 إلى 2011 : رئيس للمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، حيث نظم الملتقيات وأشرف على برامج الترجمة والتأليف المختلفة. وهو منذ 2012 عضو شرفي بالمجمع.

كان مؤسّسا وعضوا لهيئات تحرير علمية كثيرة ومختلفة ولاسيما لمجلات علمية من أهمها : المجلّة التونسية للعلوم الاجتماعية، المجلة الاجتماعية الدولية (نشرية اليونسكو)، البيبليوغرافيا الدولية للعلوم الاجتماعية، إلخ.

شارك طوال مسيرته الجامعية والأكاديمية في عدد هائل من الملتقيات العلمية وقدّم فيها مساهمات علمية أحصيت منها ما يزيد عن 160 بحثا.

ألّف عددا كبيرا من الكتب والدراسات أقتصر على ذكر بعضها [وأقل من نصفها] في اللغة التي وضعها فيها : فعبد الوهاب بوحديبة، كما يعلم الجميع من أحذق جامعيينا باللسانين الفرنسي والعربي، دون أن يدخل الضيم عليهما، على عكس ما قال الجاحظ :

Criminalité et changements sociaux en Tunisie : 1965
A la recherche des normes perdues : 1973
La sexualité en Islam (traduit en japonais, en espagnol, en : 1975
(anglais et en arabe
culture et société : 1978
Raisons d'être : 1980
1991 : لأفهم
L'imaginaire maghrébin : 1994
Quêtes sociologiques : 1996
L'expérience de l'altérité dans les sociétés musulmanes : 2002
2009 : على خطى ابن خلدون (بالاشتراك مع منيرة شابوتو))
La culture du parfum en Islam : 2017
L'Islam : ouverture et dépassement : 2018

التّفكير ثانيا :

ولعلّه يمكنني هاهنا أن أستجمع الثنايا الفكرية لعبد الوهاب بوحديبة، هذه الثنايا التي كان دائما يقول عنها، إنها ثنايا تفتحها خطانا، لا وجود لها قبلنا، لعله يمكنني أن أستجمعها ضمن محورين متوازيين :

محور أوّل يمكنني أن أسمّيه محور «الوفاء للمعنى»، حوله تدور تأمّلاته في رمزيات الحياة. فالمثقف والجامعي والمفكر والباحث، ليسوا سوى مفكري الأمّة، ولذلك فإن عملهم الحقيقي هو الإصغاء إليها في جميع الرمزيات التي تتكلم بها وتنطق من خلالها : رمزية الجنس والحياة الجنسية، رمزية الطفولة وما تكلف به الطفولة من حمل الآمال والأوهام، ورمزية الهامشية التي ليس الإجرام إلا أحد أعراضها الملغزةِ والعنيفةِ والمحيرةِ، ورمزية، بل رمزيات الخيال في تعابيره القصصية، ورمزية الذاكرة في بحثها لا عن الزمن المفقود فقط، بل كذلك وخاصة عن المعايير الضائعة. لقد كان بوحديبة يقول لنا، بل يردد على مسامعنا، على مدى درس شغلنا كامل سنة 70/ 71 : «قد يكون من الضروري تخصيصُ وزارة كاملة للحلم». وطبعا فإن الإصغاء إلى ما لا ينطق به الحلم، أعني إلى ما يشير إليه في صمت، من طموحات الأفراد، ومن تعابير حرمانهم، وصيغ آمالهم

المعقدة، هو ما كان يقصده بوحديبة من وراء ذلك : فإن الإصغاء إلى الحلم، وفك رموز الخيال، ومرافقة كل أشكال الاستثمار الخيالي في الجنس ضمن أعمق ما تركه لنا التراث الإسلامي، هو السبيل الأيسر لتفكيك آليات العنف التي كانت تتهدد مجتمعا تونسيا ابتدأ آنذاك يشق طريقه إلى نفسه عبر سلسلة لا حد لها من التغيرات الاجتماعية العميقة. لذلك فقد كانت القراءة قراءة تُنصت، لأجل أن تفك الرموز، لأنّ المجتمع لم يكن يقدم للمثقف،وللباحث، وللأكاديمي، غير الرموز والأحجيات، وكان على ذلك الأكاديمي الشاب، المتسلح فقط بإيمانه وبعلمه، أن يحللها، وأن يفهمها، إيمانا بأولوية المعنى، ووفاء له. ولأمر كهذا ذكر الراحل محمد عزيز الحبابي بهذه الكلمة لنجم الدين باماط عن عبد الوهاب بوحديبة : «بوحديبة هو ذلك الصوت الباطني الذي يرتفع نحو الكوني»

إن أهم دروس عبد الوهاب بوحديبة في هذا المجال، هو جمعه من خلال الفهم بين التقنية التي يقدمها علم الاجتماع، والروح الفلسفي الذي يتيح الفهم والتأويل. فالغاية الحقيقة للبحث وللمعرفة عنده هي تحقيق المصالحة بيننا وبين تراثنا، ولا مصالحة بدون فهم. لذلك فإنه من العسير جدا أن نفرق ضمن أي نص من نصوص بوحديبه، بل ضمن أيّ درس من دروسه، بين السوسيولوجي، والسيكولوجي، والفلسفي، والروحاني الإسلامي : لدى نهاية ملتقى كرم خلاله طلبة عبد الوهاب بوحديبة أستاذهم، تكلم عبد الوهاب بوحديبة فقال : «إن المصالحة الحقيقية يقودها المثقفون والفلاسفة والباحثون إذ لا يجدون مكانا إلا في الصفوف الأولى ليشاهدوا ويشهدوا. وهذه الشهادة ثقيلة الوزن لما فيها من قيم وعبر، ولما تنبني عليه من جرأة وإقدام. فهي شهادة تتجاوز الذات الفردية وحتى الجماعية وتلزم كذلك كل من آمن بعظمة الوجود المقرون بالحرية والمسؤولية وكرامة الإنسان».

أما المحور الثاني فهو ما يمكن أن نسمية على إثر عبد الوهاب بوحديبة، المعرفة المناضلة : إن الإنصات إلى المجتمع ومحاولة فهم ظواهره وتغيراته لا يقصد إلا إلى الفعل فيه : فمواكبة المجتمع وفهمه لا يمكنهما أن يكونا مجرد تصديق عليه. على المفكر والعالم أن يسعى إلى تغيير مجتمعه، وأن يرصد مواطن العطالة الحقيقية فيه. وليس له من سبيل إلى ذلك إلا الكلمة : أليس الباحث اليقظ

الملتزم، في ما يسأل بوحديبة، هو ذاك ... السابق الذي يفهم قبل غيره، واللاحق الذي يغربل ويصفي المعاني والأقوال والرموز، فيحتفظ بما لا تزال تجري فيه الحياة، ... ويطّرح ما تآكل منه وانتهى أمره ؟ ...

التّعبير ثالثا :

أستاذي ومعلّمي عبد الوهاب بوحديبة :

إنّ كفاح المفكّر ليس من جنس العمل القصير، أعني من جنس العمل الذي يتواقت فيه القصد والغاية : فشأن الكفاح الحقيقي أنه إنما يستنير بآية المكوث. فأما الزبد فيذهب جفاء ..

المكوث غير البقاء، فقد ارتبط في بلاغة النّص القرآني بتعارضه مع ذهاب الزّبد جُفاءً، وبارتباطه بالأرض، وبما ينفع النّاس. المكوث هو أنموذج «المقاومة» الحقيقية، التي هي سكنى الأرض وإعمارها إقامة بها، في مقابل مقاومةٍ لا فرق بينها وبين ابتذال حيل المراوغة والمداورة. إنّ ديمومة البقاء تسحبه إلى دائرة الزّمن استمرارا لا يلتفت إلاّ إلى نفسه وتجدّده في الزّمان، وأمّا المكوث فإنما التفاته إلى الأرض اضطلاعا به من النّاس. هو أكثر من اللّبوث الذي يظل في الجملة إلى حين. البقاء من جهة البربيتواسيون [perpétuation] أي من جهة اتصال الذات وتعهّدها نفسَها في ذلك الاتصال، ولو كانت معلّقةً. وأمّا المكوث فمن جهة الرّستانس [restance]، التي يعني جذرها قبل كلّ شيء الاستناد إلى الأرض، والقيام فوقها. وإنك بهذا المعنى لمن الماكثين.

رحم الله أستاذي عبد الوهاب بوحديبة وخلّد ذكراه ..

عبد الوهاب بوحديبة
كما عرفته

مصطفى النصراوي [1]

عرفت عبد الوهاب بحديبة كأستاذ قبل أن أعرفه كشخص، كان ذلك في مفتتح السنة الجامعية 1967-1968 حين بعث الجذع المشترك للفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع PPS. كانت هذه السنة الأولى من تكويننا جامعة لطلبة من مختلف الجنسيات (تونسيون مسلمون ويهود، مغاربيون، فرنسيون، إيطاليون...) وزاخرة بأساتذة مرموقين أمثال ميشال فوكو Michel Foucault وبول ربول Paul Reboul وجرار دلدال Gérard Deledale وبول صباغ Paul Sebag وعبد الوهاب بوحديبة المماثل لهم والمختلف عنهم في آن واحد وسأبيّن في ما يلي وجوه الاختلاف.

1- أصالة عبد الوهاب بوحديبة

كانت كل المحاضرات ثرية ومفيدة إلا أنّها متمحورة في مجملها حول الحضارة الغربية برموزها ومفاهيمها وتاريخها إلا أن عبد الوهاب بوحديبة مثّل الاستثناء لأنه كان يغوص في الحضارة العربية الإسلامية كاشفا أبعادها، مجليا أسرارها وخفاياها فيصالحنا مع ذاتنا ويعيدنا إلى هويتنا وتراثنا بما فيه من محاسن ومساوئ وهل يوجد تراث خال من ذلك؟

درّسنا عبد الوهاب بوحديبة في السنة الأولى موضوعا سسيولوجيا حول البنية الاجتماعية ?Qu'est-ce qu'une structure sociale وفي السنة الثانية حاضر في علم النفس الاجتماعي، فشدّنا بما كان يقدّمه من أمثلة مستمدة من أعماق حضارتنا مثل الأوقاف والحمام والختان وتقاليد المحافظة على البكارة والبغاء... لا يعد

1 - أستاذ متميز، رئيس جامعة سابقا.

هذا التوجّه انغلاقا على حضارة واحدة أو قصورا في الاطلاع على ممارسات ونماذج سلوكية أخرى، فالرجل مطلع اطلاعا كبيرا على الحضارات الكونية ويعرف جيدا خصائص الحضارة الغربية في نشأتها وتطوّرها وانتشارها ولا يبخل عن المقارنة بين عناصرها وعناصر الحضارة العربية الإسلامية مثل الأسرة المغاربية والأسرة الأوروبية والجنسانية في الإسلام والجنسانية في المسيحية والأم في الحضارتين، مفنّدا في الوقت ذاته حملات التشويه ومواقف العداء ضد الحضارة الإسلامية. ومما زاد في شغفنا بدروسه أسلوبه الشيّق فكان يختار كلماته وينمّقها دون تكلف ولا حذلقة وكأننا نستمع إلى سنفونية عذبة. أتذكر أنه علّق في محاضرة من محاضراته عن نظرية المفكر الأتنولوجي الفرنسي لوسيان لفي بريل Lucien Levy-Bruhl حول العقلية البدائية والعقلية المتحضرة فقال جملة ظلت عالقة في ذهني:

« La pensée de Levy-Bruhl est partielle et parcellaire, récusable et récusée » :

فكر لفي بريل جزئي ومقطعي، قابل للرفض ومرفوض.

يمضي عبد الوهاب بوحديبة في استنطاق رموز الحضارة العربية الاسلامية من زاوية نفسية ويجد في كتاب **ألف ليلة وليلة** مجالا خصبا لمسعاه. لا أعرف باحثا عربيا أو أجنبيا قرأ كتاب **ألف ليلة وليلة** قراءة نفسية مثل بوحديبة، فقد استنبط من كل بطل من أبطاله دلالة نفسية: قمر الزمان، ذات الشواهي، جلنار، الحسن البصري، السندباد، جودر... لا يسمح المجال لاستعراض كل ما ذكره أستاذنا من معان حول هذه السّير مثل الحيلة والقوة، المكيدة وصفاء السريرة، الرحمة والقسوة، النهايات السعيدة والنهايات الأليمة. وفي هذا الصدد سأكتفي بالتلميح إلى أسطورة جودر وقد حللها بإسهاب زميلي وصديقي محمد رياض بن رجب في مقال منشور بمجلة توبيك Topiques الفرنسية.

سعى جودر إلى البحث عن كنز بمساعدة ساحر مغاربي (عبد الباسط)، فيتعرض لخطر كلما فتح بابا من الأبواب الموصودة المؤدية له ويسقط تحت الضربات القاتلة لكنه ينهض من جديد إلى أن وجد أمامه أمه (أم مزيّفة) كأكبر حاجز يعترضه. تقتضي ضرورة الحصول على الكنز أن يطلب منها التجرد من كل

ثيابها، وكشف عوراتها إلى أن تصبح عارية تماما، واصل جودر مغامرته بثبات إلى أن وقف مترددا أمام توسلها له بأن يترك الغطاء البسيط يستر فرجها -cache sexe، فيقبل استجداءها وفي قبوله خسارة فادحة وألم شديد ناتج عن ضربه ضربا مبرحا وانغلاق الكهف عليه. لكنه سيستخلص الدرس في المرة الثانية بمساعدة الساحر المغاربي، فيعيد الكرة بعزيمة لا تنثني وكأنه شبح بلا روح مثلما تقول القصة ويتمكن في النهاية من الكنز فيهديه إلى أمه الحقيقية البائسة.

يربط بـوحديبة هـذه الأسطورة بمضامين مدرسة التحليل النفسي لفرويد La psychanalyse، فيقول أن عقدة أوديب كعقيدة كونية (حسب مرجعيات هذه المدرسة) تتجلى في عقدة جودر في الحضارة العربية الإسلامية، لكنها على عكس عقدة أوديب خالية من الشعور بالذنب. إذا كانت للأسطورة الإغريقية نهاية مأسوية (يتزوج أوديب أمه ويعمى بصره) فإن لأسطورة جودر نهاية سعيدة: الانعتاق من الفقر. نستحضر ونحن نروي تأويل بوحديبة لهذه الأسطورة ما يسمّيه بعض علماء الأناسة Anthropologues بعد دراستهم لعديد الثقافات أوديب المضاد L'anti-œdipe. لا يبقى تحليل عبد الوهاب بوحديبة منحصرا في مضامين هذه المدرسة بل يدعّم تأويله بمفاهيم مستمدة من نظرية كارل جوستاف يونج C. G. Yung المنشق عن فرويد مثل النمط البدائي Archétype، الانطباعة Imago, الأنموس والأنما ويواصل أستاذنا الباحث اهتمامه بالرموز الحضارية للثقافة العربية الإسلامية من خلال استجلاء المعاني العميقة لقصص مغاربية بسّطها وحللها في كتابه **المخيال المغاربي** (1993).

لا يكتفي بالقراءة النفسية للتراث القصصي بل يهتم كذلك بالمقدس من خلال استجلاء المعاني النفسية لعديد الآيات القرآنية وأهمها آيات سورة يوسف مثل فتنة الجمال والخطأ البشري، فيمكن لأي انسان حتى ولو كان نبيا أن يسقط فيه مثلما تبيّنه الآية 24 المتصلة بالإغراء المتبادل بين يوسف وزليخة: «و لقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربّه» مستعرضا تجليات البرهان حسب المفسّرين المسلمين.

لا يقف شغف عبد الوهاب بوحديبة بعالم الفكر عند هذا الحد بل يظهر أيضا في تنظيمه لندوات متعددة وثرية خلال ترأسه لمؤسسات كلف بتسييرها مثل مكانة الدين في مجتمع اليوم وحوار الأديان والمعقول واللامعقول واحياء تراث فلاسفة وأطباء مغاربة وأندلسيين (ابن رشد، أبن الجزار...) وبمواضيع اجتماعية ونفسية متّصلة بمشاغل الناس مثل الجنوح وتمثلات العدالة في المجتمع التونسي والأسرة التونسية. لا يقل اهتمام بوحديبة بالتأطير عن اهتمامه بالتأليف وبحلقات الفكر.

2 - التأطير

لم أتمكّن لضيق الوقت من تعداد الأطروحات التي أشرف عليها أستاذنا سواء ما كان يسمى بأطروحة المرحلة الثالثة أو أطروحة الدولة لكن ما أعرفه أنه في وقت افتقرت فيه الجامعة التونسية إلى أساتذة مؤهلين لتأطير الأطروحات في الفلسفة والعلوم الاجتماعية أي ما يسمى بالأساتذة من صنف «أ» (الأساتذة والأساتذة المحاضرون) تجنّد بوحديبة لملء هذا الفراغ، فأطر أطروحات في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وأتذكر أنه قال مرة أثناء مناقشة إحدى الأطروحات أنه بصدد تأطير أطروحة في الفرنسية حول بومرشاي Beaumarchais. كنت محظوظا عندما شاركت في لجان مناقشة رسائل كان يشرف عليها فاستفدت بمحتويات متصلة اتصالا وثيقا بالمجتمع التونسي وأعجبت في آن واحد بأريحية أستاذنا وطريقة إدارته للحوار. وسماحة بوحديبة لا تتجلى فقط في مناقشة الرسائل بل تظهر كذلك في لجان الامتحان بالنسبة لطلبة الأستاذية فنراه لا يتشدد في الإسعاف خاصة بالنسبة لأبناء الأسر المتواضعة، فيقول إن تخرّجهم سيساعد أسرهم على تحسين أوضاعها في وقت كان فيه التشغيل أيسر بكثير مما هو عليه الآن. وبنفس الروح الحاضنة كان يستقبل كل طالب قصده لمساعدته على حل مشكل يتصل بدراسته وهذا يجرني إلى الحديث عن بعض الجوانب الإنسانية لحياته.

3 - عبد الوهاب بوحديبة الإنسان

لا أدعي أنني أعرف شخصية عبد الوهاب بوحديبة معرفة جيّدة فتعاملي معه كان بالأساس تعاملا مهنيا لكن كل تعامل مهما كان نوعه لابد أن يعكس عاجلا أم آجلا طبائع المتعاملين ثم أن شخصية هذا الرجل متعددة الجوانب أثرتها تجاربه المختلفة، فقد طاف العالم وكلف بمأموريات عديدة كخبير مستقل في المنظمات الأممية ولجان حقوق الإنسان. أدركت الخلفية الأخلاقية المتميّزة لعبد الوهاب بوحديبة في سبعينات القرن الماضي لمّا وجدت صعوبة في التواصل مع الأستاذ المؤطر لأطروحتي في علم النفس بباريس روناي زازو René Zazzo فلا يقرأ ما أرسله إليه وأبقى أنتظر رده أشهرا عديدة وحتى التذكير لا ينفع معه. وفي لحظة قلق وتبرم طلبت مقابلة سي عبد الوهاب بوحديبة بمكتبه في مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بنهج اسبانيا، تونس، فاستقبلني بحفاوة وكتب على مطلبي الموجه إلى عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمتعلق بمواصلة إعداد أطروحتي معه عبارة «موافق جدا Avis très favorable» لكن لم أواصل عملي معه بعد أن وجدت تفاهما مع الأستاذ الفرنسي.

اتصل بي بوحديبة بعد ذلك عديد المرات إما للمشاركة في لجان مناقشة الأطروحات أو في ندوات علمية نظمها عندما كان يسيّر مؤسسات مثل مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ومؤسسة «بيت الحكمة» وقد طلب مني عندما كان يشرف على هذه الأخيرة أن أساهم في مواضيع الموسوعة التونسية التي كانت بصدد الإعداد فأمددته بموضوعين منشورين بها وهما:

- الأسرة التونسية
- العلاقات الاجتماعية في تونس.

كنت أستمتع في المرات القليلة التي ألتقيت فيها بأستاذنا في مدينة نابل حيث كنا نقضى العطلة الصيفية بحديثه عن مختلف تجاربه فاكتشفت البعد الإنساني في علاقاته ومن الذكريات التي بقيت عالقة في ذهني أنه قال لي ذات مرة «أنّ طلبتي هم أصدقائي Mes étudiants sont mes amis». كم كنت سعيدا حينما حضرت حفل التكريم الذي أقامه المرحوم منصف وناس المدير السابق لمركز

الأبحاث الاقتصادية الاجتماعية على شرفه سنة 2019 وزادت سعادتي لما طلب مني وأنا جالس بمدارج القاعة أن أنهض لتسليم سي عبد الوهاب هدية التكريم فقدمتها له بكل شرف واعتزاز لكن لم تصلني إلى حد اليوم الصورة التي جمعتني به وهي صورة لها منزلة خاصة في سجل ذكرياتي.

رحم الله عبد الوهاب بوحديبة ورزق أهله وذويه والأسرة الجامعية جميل الصبر والسلوان.

صور تذكاريّة

تقديم درس بباريس
في معهد Janson de Sailly

طالبا بباريس 1952

عند تسليم جائزة اليونسكو للشارقة

في المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

فلسفة المقاومة،مصر، ديسمبر 2004

مع زوجته بالقيروان، أفريل 2009

مع إدغار موران.
بمناسبة تكريمه بالمكتبة الوطنية، ماي 2015

في «بيت الحكمة»

inégalable dans l'histoire qui a chamboulé l'humanité. Nous n'enseignons plus comme avant, les organisations traditionnelles se sont trouvées dans l'incapacité de gérer la crise et une nouvelle classification des pays selon la jeunesse et la vieillesse de leurs populations, s'est imposée comme critère d'intensité de la menace de l'incertitude face aux crises sanitaires.

De cette belle rencontre, et celle qui l'a suivi en 2018, je garderai le souvenir de deux moments de haut vol dans le firmament du savoir.

A votre famille, à vos collègues académiciens, aux autres qui vous ont côtoyé tout au long de votre parcours universitaires, qui déplorent aujourd'hui la perte d'un savant de votre envergure, je dirais que la vie s'arrête fatalement pour les savants mais que leur savoir demeure vivant. C'est la seule consolation que votre départ peut nous apporter. Votre noble exemple et votre sagesse nous guideront dans le bout de chemin que nous continuerons sans vous mais avec la lumière de votre savoir.

Je vous suis reconnaissante, pour cette rencontre qui a marqué une étape fort valorisante pour ma carrière de chercheure scientifique ; elle m'a permis de découvrir *Beït al-Hikma*, de faire partie du collège des académiciens, d'apprendre de mes honorables ainés, et d'apporter ma modeste contribution à la promotion de la science dans mon pays.

Reposez en paix là où vous êtes, l'âme libérée du tombeau du corps, le vrai, le beau et le bon, vous les avez enfin retrouvés, Vous le philosophe, Avide de liberté !

le dit si bien Edgar Faure : apprendre à apprendre et apprendre à faire quelque chose. L'éducateur travaille sur le présent en ouvrant des perspectives à venir. Ce que nous apprenons en dehors de l'université est bien plus important que ce que nous apprenons dans l'université : lire, lire, lire ….Apprendre, apprendre, apprendre …tout au long de la vie. »

Dans une tentative, de projection dans le futur, nous avons demandé au philosophe, à quels changements sur le long terme (2030) il s'attendait et à quel genre de ruptures de tendances.

Notre octogénaire ou presque, en 2010, m'a surprise dans un humour subtil digne d'un enfant philosophe encore capable de s'émerveiller devant les technologies et les innovations sources de ruptures de plus en plus vertigineuses. Il m'avait répondu avec un sourire narquois au coin des lèvres :

« Eh bien on va voyager au-delà de l'horizon, on va oser s'aventurer ensemble dans le plausible et l'incertain, non pas pour expliquer mais pour imaginer librement et hors des contraintes de l'expérience passée et des schémas de pensée établis ».

Imaginons qu'il n'y ait plus, d'ici 2030 d'enseignants du tout au sens où on l'entend ;

Imaginons que les organisations que nous connaissons , dans l'école, change de forme sous l'effet du digital en devenir, quelle forme d'organisations sociales et sociétale pour un pays où domine une population vieillissante et quelle forme dans un pays avec une population jeune ?

Feu professeur Bouhdiba, s'était déjà en 2010, soit 9 ans avant la survenue de la crise pandémique, de la COVID-19 posé des questions qui ont émergé en force sous l'effet d'une turbulence

Il tenait aussi à mettre en avant les efforts de l'Académie Tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts *Beït al-Hikma* en matière d'arabisation et qui ont permis de mener à bien un grand projet d'arabisation de textes majeurs classiques, modernes et contemporains à portée universelle en une vingtaine de volumes. La traduction en collaboration avec l'Unesco d'ouvrages comme les clés du XXI^{ème} siècle, Où vont les valeurs ? Signons la paix arec la terre, Civilisés G. Balandier, Le juste de P. Ricœur, etc. sont pour l'arabisation des acquis notables avec l'organisation en 10 sessions des Rencontres Internationales de Carthage : Unité de l'Homme diversité de l'humain.

Mon interlocuteur, est un fervent défenseur d'une arabisation enrichissante « et qui, à ce titre, implique la modernisation ; c'est elle qui a permis de dégager notre horizon » affirme notre répondant.

Dans cette humilité intellectuelle, des savants de son étoffe, il a bien voulu m'accompagner dans un voyage dans le temps pour revenir sur sa carrière d'enseignant au lycée Alaoui dans des classes mixtes et multiculturelles. En philosophe sociologue, ses cours inspirés par les problèmes vécus, étaient destinés à faire réfléchir à des réponses légitimes aux questions que se posaient les élèves à l'époque. Sa vision de l'éducation il la décrit en ces termes :

L'éducation est une « transmission de l'état actuel de la connaissance. Elle doit présenter à l'enfant un condensé actuel mais aussi ce que l'humanité a mis des siècles à découvrir. L'erreur est d'imposer un moule dans lequel doivent se glisser les apprenants pour les préparer à l'emploi. Il faudrait laisser à l'enfant la possibilité de se recycler de façon continue comme

l‘enseignement comme professeur de lycée, au lendemain de l’indépendance entre 1959 et 1962 avant de grimper les échelons du savoir et de couronner son parcours du tire de professeur d’université, que j’allais rencontrer, un Sadikien et un parfait bilingue, khâgne au Lycée Janson de Paris, agrégé de philosophie de la Sorbonne. Je savais aussi que ma rencontre allait répondre à mes attentes de chercheure associée au laboratoire STEF de l’ENS de Cachan, travaillant sur l’avenir de l’éducation, car mon audition allait m’apporter de précieuses connaissances sur l’apprentissage de l’enfant. En complément de sa thèse sur « La sexualité en islam », notre philosophe avait réalisé une thèse complémentaire sur « les contes tunisiens pour enfants ».

En franchissant la porte du salon conduisant à son bureau, accompagnée de son proche collaborateur Monsieur Khaled Ben Youssef, j’ai aperçu, derrière un meuble rustique un homme, en costume gris, une belle cravate sous le col d’une chemise d’un blanc éclatant. Il m’avait reçu avec le sourire témoignant d’un art de vivre supérieur, aussi réfléchi que modéré. Cette allure moderne contrastait avec l’architecture orientale de cette chambre beylicale convertie en bureau. L’homme qui était devant moi alliait élégamment, l’authenticité et la modernité.

Dans la langue de voltaire, il a avait tenu, avant d’entrer dans le sujet de notre rencontre sur « l’apprentissage demain, savoirs et outils », (rapport publié par le site adjectif de l’université Paris-Descartes et la fondation maison des sciences de l’homme), il avait tenu à m’exprimer sa fierté d’avoir été : « le maître artisan de l’arabisation de la philosophie » il a dit : « j’en suis fier. Je constate qu’on peut parler aujourd’hui d’une école tunisienne qui entend former en la matière des esprits libres, ouverts, cultivés et outillés pour cela autant en arabe qu’en français ».

et d'humour. Je n'oublierais jamais ce moment, de grande communion avec la salle lorsqu'il dit en sociologue au fait des valeurs ancestrales tunisiennes :

« Le mal c'est ce qui rend possible et la mauvaise action est souvent regardée avec beaucoup de mansuétude et de compréhension c'est pour cela dans notre société nous avons vécu avec le bandit d'honneur, le grand négro qui régnait dans la médina et auprès duquel les citoyens allaient se plaindre au grand négro plutôt que se plaindre auprès de la justice beylicale à Tunis au 19 ième siècle. Le grand Gouider En- Nighaoui, auteur de la célèbre chanson « يا فاطمة بعد النكد والغصة » c'était un bandit d'honneur, il se plaisait et mettait son point d'honneur à voler le bey. »

C'est en ce moment précis que me revient à l'esprit notre rencontre le 8 décembre 2010 à 11H00, dans son bureau au rez de chaussée du palais de *Beït al-Hikma* que je découvrais pour la première fois. Je réalisais à l'époque des auditions auprès des grandes figures de l'éducation en Tunisie comme Feu Pr Abdelkader Ben cheikh l'un des meilleurs chercheurs arabes en sociologie de la communication, auteur de plusieurs ouvrages sur l'éducation, édités notamment par l'Unesco et décédé le 26 août 2019 et feu Chedly Fitouri, décédé le 28 août 2019 à l'âge de 89 ans. Il avait occupé de hautes fonctions au sein de l'Education nationale en Tunisie avant de devenir directeur au Bureau International de l'éduction de l'UNESCO à Genève.

J'avais, grâce à une forte visibilité de mon interlocuteur, sur le web , pu mettre un visage sur un grand nom. J'avais appris que le Président de l'Académie Tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts *Beït al-Hikma*, que j'allais retrouver, avait exercé

Témoignage en hommage à un savant
Feu Abdelwahab Bouhdiba

Souad Kamoun-Chouk

La dernière fois où j'ai vu feu Abdelwahab Bouhdiba, c'était le 18 avril 2018 à l'Amphithéâtre « Carthage Al-Hadétha » de l'université de la Manouba. Il était l'orateur de la conférence inaugurale du 6 ième Symposium Scientifique de l'Université sur les « Normes et Valeurs ».

A cette occasion, il lui a été discerné le prix « Savoirs partagés » qui entend attirer l'attention des publics et réveiller des curiosités, en rapprochant des auteurs et en mettant en résonnance des œuvres qui peuvent inciter des lectures renouvelées et décloisonner leur réception. Ce prix, il l'a reçu avec un autre intellectuel qui avait donné la conférence plénière de la seconde journée du symposium, le philosophe français, Régis Debray l'éminent écrivain et philosophe Français. Les deux intellectuels et chercheurs s'étaient vus discerner le prix « Savoirs Partagés » créé et attribué pour la première fois par l'Université de la Manouba.

Depuis ma première rencontre avec lui en 2010, dans son bureau à *Beït al-Hikma*, il n'avait rien perdu de ce qui le distinguait comme aura digne des grands sages de son époque. Les jeunes collègues des disciplines plus proches des chiffres que des lettres comme la finance et la comptabilité, assis à mes côtés ne cachaient pas leur fascinnement face à ce monument de la sociologie en Tunisie, l'un des philosophes notoires de son époque et le pédagogue affirmé capable à la fois de fermeté

Il a été l'un des premiers lauréats du prix Ibn Khaldūn en 2015 et j'étais présente.

Il a présenté son beau livre sur La culture du parfum en Islam, le 14 juin 2017 au Fondouk al-Attarine et j'étais là

Il a reçu le prix « Savoirs partagés » avec Régis Debray, à l'issue du sixième symposium organisé par l'Université de La Manouba (avril 2018) sur le thème de « Normes et valeurs » et j'étais là.

Ces quelques mots sont autant de témoignages d'estime et d'affection fidèle à un aîné qui a su s'entourer de collègues de toutes les disciplines et pas seulement de philosophes. Il a su nous associer à ses projets et à écouter.

Adieu Si Abdelwahab, j'ai perdu en vous un collègue et un ami.

- Un rencontre sur Ibn Khaldūn à Téhéran avec des chercheurs iraniens pour laquelle il m'a envoyé avec Khaled Kchir et Abderrahmane Tlili.

Toutes ces activités témoignent d'une grande confiance et d'une grande estime réciproque et j'en ai été très touchée.

* La deuxième grande action, à laquelle j'ai été associée, a porté sur le programme des manifestations, le choix des textes à éditer et l'organisation du colloque international sur « Kairouan capitale de la culture islamique » :

- Un grand effort d'établissement et d'édition des textes a été programmé à l'Académie : plusieurs personnes y ont participé parmi lesquelles :

Feu Radhi Jazy et son collègue Farouk El-Asli pour les traités d'Ibn Jazzar en particulier ;

Feu Mohamed Habib El-Hila a édité les huit volumes des Responsa/Ajwiba, du Qadhi 'Azzûm ainsi qu'une biographie de ce même grand juriste ;

La publication, sous ma responsabilité avec Feu Mohamed Yalaoui et Radhi Daghfous, de l'Encyclopédie de Kairouan.

J'ai participé au dernier colloque qu'il avait programmé mais auquel il n'a pu assister en 2011, qui portait sur « al-Ghazali ».

A l'automne 2010, il m'avait demandé de préparer le programme d'un hommage à André Miquel mais… Ce fut un projet inabouti.

Mes témoignages de fidélité se sont matériellement traduits par une présence constante à chacune des occasions où il a été distingué et/où il a présenté un livre :

pensée : Salah Stétié, Nacif Nassar, André Miquel, Dominique Chevallier, Paul Ricoeur et bien d'autres. Il les a conviés, publié leur conférence, rendu hommage à tous ses collègues.

J'ai été conviée à participer à des Mélanges offerts à Feu Ahmed Abdesselem (2003), à Feu Mohamed Souissi (2005), deux aînés pour lesquels j'éprouvais admiration et estime ; J'ai également participé à l'hommage à Feu Dominique Chevallier (2006) que j'ai côtoyé lorsqu'il enseignait à la Faculté des lettres et sciences humaines (Bd du 9 avril 1938).

Parmi les grandes manifestations que Si Abdelwahab a organisées, deux d'entre elles m'ont donné l'occasion de collaborer encore plus activement aux travaux de *Beït al-Hikma*.

* Pour la commémoration du sixième centenaire de la mort d'Ibn Khaldūn (1406-2006), plusieurs actions ont été programmées :

- L'organisation d'un grand colloque international « Ibn Khaldūn aux sources de la modernité »qui a donné lieu à des actes en trois volumes ;

- Une délocalisation du même colloque à Sousse, sous ma responsabilité avec un certain nombre de participants ;

- Une dissertation sur cet immense penseur a été proposée à l'ensemble des lycées de la République et un prix a été octroyé pour la meilleure d'entre elles. Le jury constitué pour décerner ce prix, regroupait Kamel Omrane, Khaled Kchir, Mohamed Hassen et moi-même ;

- Un livre publié à deux « Sur les pas d'Ibn Khaldun » (Sud Éditions) en Français et en Arabe ;

In memoriam
Abdelwahab Bouhdiba (1932-2020)

Mounira Chapoutôt-Remadi

J'ai connu si Abdelwahab dès mes premiers pas d'enseignante à la Faculté des Lettres et Sciences humaines. Il était mon aîné et comme tel, nous avions des relations empreintes de respect mutuel. Il était chef du département de philosophie-sociologie et psychologie. Premier agrégé tunisien de philosophie (1959), il était appelé à monter en quelque sorte un département réunissant ces trois disciplines et à former les futurs spécialistes qui deviendraient peu à peu ses disciples et ses collègues.

Très peu après, il fut appelé à diriger le fameux CERES, le Centre d'Études et de Recherches Economiques Sociales. Je pense que ses collègues sont plus à même que moi d'évoquer les principales étapes de son brillant parcours universitaire.

Je voudrais plutôt parler des circonstances de notre collaboration à *Beït al-Hikma*. Il m'a invitée à assister et à participer aux colloques qu'il organisait comme au programme d'édition et de publication des livres qu'il projetait de publier. Peu à peu, contournant les problèmes de la non existence de membres permanents, il avait constitué une sorte de comité scientifique informel dont j'ai fait partie avec un certain nombre de collègues d'autres disciplines.

Au cours de sa carrière, Si Abdelwahab avait fait la connaissance au Moyen Orient, au Maghreb, en Europe et ailleurs de plusieurs personnalités du monde du savoir et de la

une série de colloques traitant de sujets philosophiques et scientifiques d'une extrême importance), la célébration du sixième centenaire d'Ibn Khaldoun, le huitième centenaire d'Averroès, le neuvième centenaire d'Abu Hamed Al-Ghazali, les journées internationales de la calligraphie arabe, la grande manifestation «Kairouan: capitale de la culture islamique», les centaines d'ouvrages publiés dans différents domaines scientifiques dont notamment ceux rentrant dans le cadre de la stratégie nationale de la traduction ; sans oublier l'établissement de nombreux manuscrits importants à l'instar des œuvres d'Ibn La Jazzar... Et j'en passe. Grâce à lui, l'Académie a noué plusieurs relations fructueuses avec des institutions internationales à l'instar de l'Union académique internationale, le Réseau des Académies des pays européens, l'UNESCO, l'IRSICA, l'ISESCO et bien d'autres. De par ses vastes connaissances et de son rayonnement international, l'Académie a pu enrichir sa liste d'amis, ce qui lui a permis d'inviter plusieurs sommités d'envergure mondiale tels que Paul Ricœur, Edgard Morin Georges Balandier, Salah Stétié, Dominique Chevalier, Raymond Daudel...pour ne citer que ceux-là.

Pour dénombrer les qualités humaines et les réalisations de notre cher et regretté Abdelwahab Bouhdiba, il me faut des pages et des pages, mais je vais me contenter de ce modeste témoignage pour ne pas vous encombrer.

Je finirai par dire adieu à notre cher maître qui va laisser un grand vide au sein de sa famille et au sein de ses nombreux amis en Tunisie et à l'étranger. Il va certainement manquer à toute la scène scientifique et culturelle qui continue à perdre, un par un, les grandes figures d'un temps révolu ; mais son œuvre et son souvenir resteront gravés en nous, c'est notre seule consolation.

invités occidentaux. Devant cette situation très gênante, monsieur Abdelwahab Bouhdiba, qui tenait profondément au respect de ses hôtes étrangers, avait retenu le ministre, qui s'apprêtait à quitter la salle en raison de son calendrier chargé, et l'avait prié, en toute délicatesse, de rester encore un instant afin de l'écouter dans la traduction en langue française de son discours. Monsieur Bouhdiba s'est alors mis à traduire instantanément et d'une manière magistrale le discours du Ministre provocant la stupéfaction de ce dernier. Cette traduction élégante et fidèle (presque) dans tous ses détails a suscité l'admiration de tous les invités qui ont apprécié ce geste à sa juste valeur au point qu'ils ont applaudi chaleureusement. Je garde le meilleur souvenir de cet homme exceptionnel qui a rendu d'énormes services à la science et à la culture tunisiennes tant par ses ouvrages uniques que par ses participations toujours remarquables et distinguées aux nombreuses rencontres scientifiques auxquelles il a pris part tout au long de sa riche carrière de près de soixante ans.

Il a toujours su faire l'équilibre entre l'éducation classique qu'il a reçue au sein d'une société conservatrice et traditionnelle inpregnée par les principes religieux, et les fondements de la civilisation occidentale qu'il a reçus de par ses lectures et sa formation philosophique en France. Il a su concilier les deux cultures pour défendre les valeurs universelles et prôner un islam modéré reniant le radicalisme et le repli sur soi, et appelant à l'amour et à la tolérance. Il croyait beaucoup en cette richesse que peut apporter le dialogue et le rapprochement des cultures et des civilisations. Il avait organisé plusieurs colloques et conférences traitant de ce sujet, tellement cette idée lui tenait à cœur.

Parmi les moments forts qu'il a pu éterniser à *Beït al-Hikma*, je peux citer: les rencontres internationales de Carthage (avec

de l'édition en 2015, et celui du Roi d'Arabie saoudite, l'année d'après, c'est en grande partie grâce aux différentes réalisations culturelles et scientifiques enregistrées au cours de la période faste et fructueuse de sa présidence de cette institution qui m'est très chère.

Personnellement, c'est là que je l'ai connu. Je l'ai côtoyé de très près pendant 15 ans, et j'ai eu la chance d'être l'un de ses plus proches collaborateurs pendant toute cette période très riche en événements scientifiques et culturels. J'ai beaucoup appris de lui aussi bien sur le plan humain que sur le plan de l'organisation et de la culture. C'était un homme très intelligent et très cultivé. Il était un excellent orateur et il maîtrisait l'art d'improviser ses discours d'une manière impressionnante. Il avait le sens de la perfection et ça se reflétait sur sa méthodologie dans le travail et sur ses analyses scientifiques profondes et pertinentes. Malgré son immense savoir et sa grande culture, ce fût un homme modeste et très respectueux des autres. Notre relation ne se limitait pas au travail. Très souvent, il me faisait des confidences et me racontait des histoires très intéressantes qui m'ont permis d'enrichir mes connaissances culturelles et scientifiques. Malgré son sérieux et sa rigueur, il avait l'art et la finesse de me soulager et de me détendre en me racontant des anecdotes et des histoires drôles quand il sentait que le volume du travail commençait à me peser et à me stresser. En plus de son ouverture d'esprit et de sa grande générosité, il était fin et raffiné dans ses comportements. Je n'oublierai jamais son intervention remarquable et intelligente lorsqu'il a sauvé une situation inconfortable lors d'un colloque scientifique organisé à *Beït al-Hikma*. Ce jour là, le ministre de la culture, avait pris la parole pour annoncer l'ouverture du colloque en question. Seulement, il s'est contenté de donner une allocution en langue arabe, ignorant ainsi la présence de plusieurs

« L'information et la communication aujourd'hui : aliénation et libération» et «La culture du parfum en islam »...

Sur un autre plan, monsieur Bouhdiba qui était Professeur émérite à l'université de Tunis, a occupé plusieurs fonctions. Il a ainsi dirigé pendant plusieurs années le département de sociologie à la faculté des lettres et sciences humaines de Tunis, avant d'être nommé, de 1972 à 1992, directeur général du Centre d'études et de recherches économiques et sociales (CERES). De 1991 à 1994, il fût nommé directeur général adjoint de l'Alecso. Il a également présidé l'Académie tunisienne des sciences, des lettres et des arts *Beït al-Hikma* pendant plus de 15 ans (de 1995 à 2011). Il était, également membre du Conseil supérieur islamique, membre du conseil scientifique de la fondation nationale pour la traduction, l'établissement des textes et les études, et membre de l'École tunisienne de philosophie. Par ailleurs, il avait eu l'honneur de représenter la Tunisie au sein du Conseil exécutif de l'Unesco. Vu son envergure et son rayonnement international, le défunt a toujours joui de la confiance de plusieurs institutions scientifiques étrangères prestigieuses, d'où sa nomination en tant que Professeur invité à l'Institut universitaire de hautes études internationales de l'université de Genève, et en tant que membre de l'Académie de langue arabe du Caire, et de l'Académie arabe de Damas. Il fût, d'autre part, vice-président de l'Académie européenne des sciences et des arts.

Il a obtenu plusieurs distinctions à l'échelle nationale et internationale dont notamment le prix Unesco-Sharjah pour la culture arabe, en 2004, et le prix Ibn Khaldoun pour la promotion des études et des recherches en sciences humaines et sociales, en 2015. Et si l'Académie tunisienne des sciences, des lettres et des arts *Beït al-Hikma* a reçu le prix du cheikh Zayed

Le professeur Abdelwahab Bouhdiba n'est plus

Khaled Ben Youssef

Le professeur Abdelwahab Bouhdiba n'est plus parmi nous depuis quarante jours déjà. Avec son départ, la Tunisie a perdu un grand penseur qui a formé plusieurs générations de sociologues à l'Université tunisienne. Le défunt qui a vécu un itinéraire scientifique exceptionnel, a poursuivi ses études secondaires au collège Sadiki et au lycée Janson-de-Sailly de Paris, avant de rejoindre la Sorbonne pour y poursuivre des études philosophiques et littéraires qui ont été couronnées en 1959 par l'obtention de l'agrégation de philosophie. En 1972, il décrocha son doctorat d'État, et sa thèse « Islam et sexualité », fût publiée en 1975 sous le titre de « La sexualité en islam ». Cet ouvrage dont le succès a dépassé les frontières a été traduit en plusieurs langues, et il continue, jusqu'à nos jours, d'être réédité. Outre cet ouvrage important, monsieur Bouhdiba compte à son actif plusieurs autres publications de référence qui ont consolidé son image de grand penseur auprès des spécialistes et des intellectuels tunisiens et étrangers. La liste est bien longue, mais à titre d'exemple, je vais me contenter d'en citer que quelques uns : « L'islam : ouverture et dépassement », « La culture du Coran », « Criminalité et changements sociaux en Tunisie », « Quêtes sociologiques : continuités et ruptures au Maghreb », « L'expérience de l'altérité dans les sociétés musulmanes », « Sur les pas d'Ibn Khaldoun » (avec Mounira Chapoutôt-Remadi), «Kairouan, la durée» (avec Mohammed Masmoudi),

- Ghorbal M. (1980) La personnalité maghrébine: Schéma théorique. Application à la dépression grave. *Psychologie Médicale*, 12, 4, pp. 855-866.

- Ghorbal M. (1981) La personnalité maghrébine: noyau arabo-islamique, sociogenèse, psychogenèse. *L'Information Psychiatrique*, 57, 4, pp. 419-449.

- Ghorbal M. (1983) Espace communautaire: Aspect spécifique de l'activité psychique du Maghrébin. *L'Évolution Psychiatrique*, 48, 3, pp. 735-755.

- Ben Rejeb R. (2006b) De quelques résistances à la psychanalyse dans le monde arabo-musulman. Le cas de la Tunisie. In *Beït al-Hikma*, *Actes du colloque La psychanalyse face à l'Islam*. Carthage, *Beït al-Hikma*, pp 52-81.

- Ben Rejeb R. (2013) La psychanalyse en terre d'Islam. Hommage aux travaux du Pr Mohamed Ghorbal. In R. Ben Rejeb (sous la direction de), *La Référence*. Tunis, C.P.U, pp. 163-227.

- Ben Rejeb R. (2019) La psychanalyse aux pays du destin. L'exemple de la Tunisie. *Psychanalyse et Psychose*, 19, 127-148.

- Ben Rejeb R. & Khelifi E. (2017) L'homme aux oreilles d'or. Entretien avec Riadh Ben Rejeb, Revue *L'autre*, cliniques, cultures et sociétés, Grenoble, 2017, 18, n°1, pp 77-91.

https://revuelautre.com/entretiens/lhomme-aux-oreilles-dor/

- Bouhdiba A. (1964), Le hammam. Contribution à une psychanalyse de l'Islam.

Revue Tunisienne des Sciences Sociales (RTSS), 1, pp. 7-14.

- Bouhdiba A. (1975) *La sexualité en islam*. Paris, PUF.

- Bouhdiba A. (1977) *L'imaginaire maghrébin. Etude de dix contes pour enfants*.

Tunis, Maison tunisienne de l'édition.

- Bouhdiba A. (1978) L'enfant et la mère dans la société arabo-musulmane, in A Bouhdiba, *Culture et société*. Tunis, Publications de l'Université de Tunis, pp. 53-71.

- Bouhdiba A. (2017) *La culture du parfum en islam*. Tunis, Sud Editions.

- Ghorbal M. (1977) *Esquisse de la personnalité maghrébine. À propos de la deuxième génération*. Lyon, Thèse pour le Doctorat en Médecine.

nous n'avons pas choisis, que nous n'avons pas pensés, que nous n'avons pas élaborés et qui, en fait, constituent des réponses inventées sous d'autres cieux à des problèmes qui ne sont même pas les nôtres.» (Bouhdiba, 1978, p. 219).

Les descriptions et propositions théoriques de Bouhdiba par rapport à la psychanalyse ont suscité de nombreuses réactions favorables. Le premier psychanalyste tunisien, feu Mohamed Ghorbal, psychiatre et ancien chef de service à l'hôpital Razi, a adopté volontiers ce schéma théorique (Ghorbal, 1981).

Tout cela montre que la personnalité maghrébine dispose de spécificités et de caractères qui lui sont propres à décortiquer par conséquent par une psychanalyse adéquate et adaptée. Il faudrait alors mettre systématiquement à l'épreuve la psychanalyse pour chaque aire culturelle. Abdelwahab Bouhdiba a ouvert magistralement le terrain. Mohamed Ghorbal (1977, 1980, 1981, 1983) a apporté ensuite une touche personnelle également très originale et pionnière dans son approche métapsychologique de la personnalité maghrébine (Ben Rejeb, 2013). Et nous sommes appelés à continuer sur le même chemin (Ben Rejeb & Khelifi, 2017 ; Ben Rejeb, 2019).

Références en langue française :

- *Beït al-Hikma* (2006), *La psychanalyse face à l'Islam*. Carthage, *Beït al-Hikma*.

- Ben Rejeb R. (2006a) Interprétation des textes religieux à la lumière de la psychanalyse, (article en arabe). In *Beït al-Hikma*, *Actes du colloque La psychanalyse face à l'Islam*. Carthage, *Beït al-Hikma*, pp 39-50.

désigner la Matrice du Livre, la Mère du Livre ou encore le Livre-Mère.

5/ Il faut noter enfin que l'avant dernier livre de Bouhdiba, traitant des *parfums* et des *odeurs* (2017) constitue un écho à son tout premier texte (de 1964) puisqu'il traite lui aussi de sensorialité précoce axée cette fois sur *l'univers olfactif* de l'enfant dans le monde arabo-musulman. L'homme passe sa vie du début jusqu'à la fin de ses jours dans un bain social olfactif.

Le fil conducteur à l'ensemble des travaux de Bouhdiba en lien avec la psychanalyse est donc un projet initial très courageux qui vise « *une psychanalyse de l'islam* », c'est-à-dire une lecture du fait culturel, social et religieux à la lumière de la grille de lecture psychanalytique. Et au-delà d'une psychanalyse de l'islam, une recherche de « l'inconscient maghrébin » à travers l'étude de son imaginaire, de son langage, de son discours, de ses rêves, etc.

En 2005, Bouhdiba prend l'initiative d'organiser à *Beït al-Hikma* une journée sur le thème « *La psychanalyse face à l'islam* », paru en 2006. J'y avais contribué avec deux textes (Ben Rejeb, 2006a et 2006b).

Bouhdiba fait partie des premiers chercheurs à réfléchir à une psychanalyse de culture arabe et musulmane. Pour lui, tout en acceptant le postulat du « complexe d'Œdipe », il faut chercher ailleurs. C'est la raison pour laquelle il a osé proposer depuis longtemps d'approcher les spécificités culturelles maghrébines et arabo-musulmanes en général en préconisant la résolution des problèmes du dedans. Il l'a écrit clairement dès 1978 : « La grande presse mais surtout le film, le disque, la radio déversent à longueur de journée, à nos portes et dans le secret le plus retranché de nos cités des signes, des symboles, des idéaux que

Le récit de Jawdar reflète la relation préférentielle qui existe entre l'enfant et sa mère dans l'univers arabo-musulman, relation marquée par un état de dépendance qui va se prolonger toute la vie. Ce conte met l'accent sur le fait que l'enfant doit se détacher de sa mère. L'acte de Jawdar est alors « une authentique libération de soi-même et de sa propre mère » (Bouhdiba, 1975, pp. 275-276).

Il semble que le mythe d'Œdipe et celui de Jawdar ne peuvent être en fait que complémentaires. Le premier traduit le désir de tuer symboliquement le père, le deuxième le désir d'éliminer symboliquement la mère.

3/ La troisième principale œuvre de Bouhdiba ayant un lien direct avec la psychanalyse est son livre « *L'imaginaire maghrébin. Etude de dix contes pour enfants* ». L'auteur ne se contentait pas d'une analyse de la trame sociologique des contes. Il proposait à chaque fois une interprétation psychanalytique très élaborée, savamment articulée, comme toujours, aux données culturelles.

4/ Le quatrième travail fondateur d'une psychanalyse tunisienne est représenté par un texte paru en 1978, intitulé « La relation mère-enfant dans la société arabo-musulmane ». Bouhdiba revient à la charge avec insistance pour développer de nouveau les spécificités qui marquent la relation mère-enfant. Bouhdiba écrit dans ce texte qu'il est « fort légitime de voir dans le complexe de Jawdar la forme, spécifique à la culture arabo-musulmane, du complexe d'Œdipe » (Bouhdiba, 1978, p 66). Il rappelle que le mot «*Umma*» signifiant «Communauté» vient de «*Um*» (mère) et que le Coran parle de «*Um al kitâb*» pour

sur le caractère particulier de la relation de l'enfant à sa mère dans cet environnement, relation marquée par le toucher, une oralité prolongée et un portage continu.

2/ Le second moment, le plus important dans l'œuvre de Boudhiba est la réalisation de sa thèse de doctorat d'Etat traitant de l'ensemble des liens existant entre *la sexualité et l'islam*. Cette thèse soutenue en 1972 à Paris et publiée chez les PUF en 1975, constitue une référence incontournable, une véritable encyclopédie et de l'islam et de la sexualité. Cette œuvre majeure s'avère être une pièce fondatrice dans l'édifice psychanalytique arabo-musulman. Ce livre est traversé par la psychanalyse de bout en bout. Il y est question de sexualité infantile, de sexualité adulte, d'érotisme, d'interprétation des rêves, une relecture et analyse psychanalytique de l'histoire du prophète Youssef (Joseph) et ses mésaventures avec Zuleikha, l'épouse de Putiphar avec des renvois à de nombreuses références à Freud, à Ferenczi, à Jung, à Lacan. Le tout agencé finement et avec beaucoup d'érudition à la culture arabo-musulmane.

Bouhdiba propose également dans ce livre une description fine du développement psychologique de l'enfant maghrébin. Pour lui, l'allaitement prolongé parfois au-delà de deux

ans et cette proximité physique continue, font de l'enfant un éternel dépendant de sa mère. Bouhdiba est convaincu que l'organisation œdipienne ne suffit pas pour comprendre les spécificités du développement de l'enfant maghrébin. Ce réseau familial si particulier l'a poussé à chercher un mythe qui correspond le plus à ce schéma social. S'inspirant de l'un des contes des *Mille et une nuits*, Bouhdiba (1975, pp. 274-279) a isolé un complexe qu'il appelle « le complexe de Jawdar ».

Abdelwahab Bouhdiba et la psychanalyse [1]

Riadh Ben Rejeb[2]

Les relations de Bouhdiba avec la psychanalyse datent d'il y a bien longtemps. Et la psychanalyse a ponctué à des moments importants l'ensemble de son œuvre :

1/ Le premier texte tunisien de psychanalyse est celui publié par un jeune universitaire tunisien sociologue et agrégé de philosophie, Abdelwahab Bouhdiba. C'était en 1964. Boudhiba avait 32 ans ! Ce texte intitulé « Le hammam. Contribution à une psychanalyse de l'islam» est paru dans le premier numéro de la *Revue Tunisienne des Sciences Sociales (RTSS),* publication du Centre d'Etudes et de Recherches Économiques et Sociales de Tunis (Bouhdiba, 1964).

Dans ce premier texte, Bouhdiba propose une analyse pertinente des rituels du hammam en mettant l'accent sur l'importance de la sensorialité et des premiers soins dans le développement psychologique de l'enfant maghrébin ainsi que

1 - Cette intervention s'inspire de deux publications personnelles : d'abord un article paru en 2010 dans la revue Topique et intitulé : « La psychanalyse en Tunisie : historique et état des lieux ». Cet article de 40 pages, disponible sur le web, est une pièce historique qui vise à préserver la mémoire des personnes qui ont contribué d'une façon ou d'une autre à introduire la psychanalyse en Tunisie. Le second texte est un article paru en 2019 dans la revue Psychanalyse et psychose et intitulé « La psychanalyse aux pays du destin. L'exemple de la Tunisie ». Evidemment, il s'agit ici d'une mise à jour des données en lien avec l'apport de A. Bouhdiba.

2 - Professeur de psychopathologie clinique, Directeur du Laboratoire de psychologie clinique à la Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis (Université de Tunis) ; psychanalyste membre de la Société psychanalytique de Paris (SPP).

nos critiques), l'œuvre de Bouhdiba au sein de la communauté scientifique, et n'enlèvent rien au mérite de l'homme et aux acquis de l'œuvre. Il ne s'agissait pas ici pour l'auteur de ces lignes, de produire une analyse critique à laquelle toute œuvre académique est assujettie, exercice ayant ses conventions, ses lieux et son cadre, mais de saluer une figure de proue de la sociologie et de la philosophie de la Tunisie née à la suite des affres de la lutte nationale, une Tunisie en quête de sens et d'orientation. Bouhdiba, cherchait à travers l'étude du rapport entre la norme et le vécu, en matière de sexualité en islam, à indiquer la boussole, le chemin qui pourra conduire à ce qu'il appelait la modernité en matière religieuse. En cela Bouhdiba fut un pionnier.

écrits ultérieurs. Mais avec lesquels, pourtant, cette pratique est en divorce total.

Dans sa thèse, Bouhdiba a fait suivre le constat d'inadéquation entre norme pure et réalité vécue, entre sphère du sacré et du normatif d'un côté et sphère du réel et du vécu, de l'autre… d'une recommandation. Elle consiste à repenser l'islam (tout en rejetant l'attitude passéiste) à la lumière des défis du monde contemporain (Cf. *Le Monde Diplomatique*, mai 1969). Cet axe de réflexion traverse l'essentiel de son œuvre en tant qu'*islamologue*. L'islamologie étant un axe majeur dans l'œuvre de Bouhdiba, que les deux disciplines (sociologie et philosophie) qu'il a consciemment contractées, ont puissamment contribué à éclairer.

Et l'islamologie se prête bien au cadrage paradigmatique du culturalisme. C'est le culturalisme, comme paradigme, à la Talcott Parsons, qui empreint l'œuvre de Bouhdiba de tout son crédit épistémologique. En dehors de la légitimation culturaliste que les *Cultural Studies* ont puissamment accréditée, et que l'école culturaliste anglo-saxonne a le mieux théorisé et illustré, l'œuvre de Bouhdiba pourrait difficilement résister aux critiques que pourraient lui adresser des tenants des paradigmes qui se sont cultivés dans la pépinière épistémologique du matérialisme en général et du marxisme en particulier. C'est pourquoi l'essentiel du succès de « la sexualité en islam » a été obtenu auprès notamment des générations de sociologues et d'anthropologues formés à l'école anglo-saxonne du culturalisme.

En tout cas, ces remarques, témoignent du grand intérêt que suscita et continue de susciter, y compris chez ses propres étudiants (et je dois avouer que nous ne lui ménageâmes pas

développement de son parti le PSD) et *la science*[1], Bouhdiba est professeur d'université, philosophe et sociologue. Le sociologue, pour avoir exigé la prise en considération des contraintes de responsabilité sociale, n'acceptant de ne faire jouer les principes que dans les limites de la recherche du bonheur des hommes en société. Le philosophe, pour avoir posé comme condition, l'exercice de l'esprit, en dehors de toute dynamique des intérêts et loin des passions. *L'éthique de responsabilité* pourra entrer en lutte avec *l'éthique de conviction*, pour reprendre les termes de Weber, mais Bouhdiba, pour tenir ensemble les deux termes de la contradiction, a décrété qu'*elles ne sont pas irréconciliables*. La norme s'est toujours nourrie de la réalité contradictoire. La réalité, malgré la laideur qui la traverse, a dû se servir de la norme pour expurger le trouble de ses eaux et en dégager la décantation qui sera l'offre sociologique et philosophique à dimension historique et universelle, pour le bonheur des hommes (démocratie, liberté, sens de l'autre, convivialité, république, etc.), du moins un essai de rendre les hommes heureux. Pour arriver à bon port, après avoir navigué sur des eaux les moins saumâtres possibles, Bouhdiba a compris qu'il fallait ériger un socle dur, les relais inexpugnables de la pensée, des bornes fixes (sinon dotées d'une vocation référentielle), bref celui d'*une esthétique* qui, pour sauver le beau, doit cerner et comprendre pour l'assimiler, sans le stigmatiser, le laid et l'horrible. Bouhdiba a vu le hiatus qui sépare une pratique de la sexualité qui n'est pourtant ni déviante, ni frontalement dénonciatrice de la norme islamique, ni en confrontation ouverte avec les littératures d'édification émanant des textes religieux : textes sacrés, traditions, corpus de *fiqh* et

1 - Bouhdiba (Abdelwahab), *Devoir de science et devoir de développement*, ed. CERES, Tunis, 1982.

« La sexualité en islam »[1] est le moment le plus beau, à mon sens, de la biographie réflexive de l'homme : analyser le sexuel, en tant que substantif, en tant que point nodal éclairé, tout à la fois, par le sacral et le social. Le sacral dans ce qu'il a de plus normatif et le social dans ce qu'il a de plus transgressif… et, quand la marmite chauffe à vide[2] et que « le peuple » a faim, … de plus subversif.

Le social permet de sauver le chercheur du risque de sombrer dans le sacral (il s'y est souvent risqué, allant même jusqu'à risquer de tomber dans le gouffre de l'idéologisme). C'est dans le social que Bouhdiba a découvert en guise de sexualité, celle qu'offre le vécu au sens pratique. Un vécu décevant : la prostituée ; la concubine, par rotation des femmes par répudiation, le *ghoulam*, (mignon, homosexuel ou, plus dépréciatif et péjoratif : « pédéraste ») le *mâjin* (du *mujûn* ou luxure), toutes entités qui, parce que reconnues de fait par et dans la société, donnent au vice un statut. En cela Bouhdiba apprit, toutefois, que pour traiter de la norme, point de jugements de valeur, de positionnements moraux, de stigmatisations. Bouhdiba a su, par la suite, la pertinence nodale de cette posture à laquelle appellent la philosophie et la sociologie. Surtout quand il endossa des responsabilités administratives (de gestion institutionnelle ou de direction de projets culturels, scientifiques ou littéraires). C'est en cela que le philosophe et le sociologue se sont épaulés pour sauver tout autant *le projet de développement* (rappelons que Bouhdiba a été un homme d'action engagé dans les projets de

1 - Bouhdiba (Abdelwahab), *La sexualité en Islam*, P.U.F., Paris, 1975, Biblio. (Sociologie d'aujourd'hui).

2 - Placebo oblige ! sport national des régimes autoritaires.

C'est peut être le terme qui concilie le mieux les deux « casquettes » (si j'ose dire) de l'homme et les rend témoins, toutes deux, d'une même matrice, celle des *humanités mises au service de la société*. J'abats mes cartes : J'appartiens politiquement à un autre bord. C'est la carrière de l'académicien qui m'intéresse le plus et le mieux, dans sa biographie, tout en reconnaissant à l'homme d'action qu'il fut, la pleine liberté de ses choix en matière politique. La norme est le terme qui rend l'œuvre de Bouhdiba titulaire d'un cheminement, dépositaire d'une destination. Bouhdiba a compris que pour faire éviter à la notion de « norme » le risque de la congélation, risque qu'un usage strictement abstrait et spéculatif pourrait lui occasionner, il faudra l'accoupler avec plus jeune que soi, un être vivant et vibrant, frêle et fragile, mutant et insaisissable. L'heureux élu ne fut rien d'autre que « le social », terme que je préfère à « société ». Le substantif supplante le cadre. Car l'adjectif « mutant », que le substantif favorise, déplace l'objet de son statut d'inertie à un statut doté d'une intention et d'une conscience, l'élisant ainsi à l'identité de l'être, comme tout ce qui bouge dans la société. C'est ainsi qu'est faite, de la sorte, l'histoire des hommes, ou si l'on veut, leurs temporalités. Une histoire faite de phénomènes sociaux à l'œuvre.

C'est la thèse de doctorat qui portera la trace indélébile de cette notion dans son œuvre.

---

eut une carrière de responsable d'administration, de gestionnaire d'institutions, de directeur politique, de membre actif au sein du parti unique au pouvoir, durant le règne de Bourguiba (1956-1987) le PSD (Parti Socialiste Destourien fils du Parti du Destour, ou Néo-Destour) devenu par la suite le RCD (Rassemblement Constitutionnel Démocratique, prolongement direct du PSD, initié par le Président Ben Ali (1987-2011) suite à la destitution de Bourguiba en 1987.

Bouhdiba, la norme et ses ingéniosités

Laroussi Amri

Mon premier contact sérieux et quelque peu tragique avec la notion de « norme », je l'ai eu, (aujourd'hui je peux en être sûr et le dire), avec mon professeur de « Sociologie islamique et maghrébine », Abdelwahab Bouhdiba (Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines[1]). Je l'ai eu comme enseignant durant les années 1970, mais aussi lors de mon retour à l'université, durant les années 1980, après en avoir été éloigné suite à mon arrestation et incarcération et suite aux effets induits par l'une et l'autre. Durant les dix années séparant les premiers enseignements de ceux prodigués ultérieurement, Bouhdiba, comme les textes éternels auxquels il se réfère, est resté le même, fidèle à sa ligne de conduite scientifique et pédagogique. Bouhdiba, en bon artisan, en bon tisserand, amoureux des étoffes, coud dans la dentelle, spécialiste qu'il est des pièces rares du patron. Il ne brode pas dans l'accessoire ou le futile, il cisèle, comme un orfèvre, dans le pérenne et le durable. C'est une sorte de contrat avec le destin des humains, qui le fait courir et écrire. Et la norme, terme que Bouhdiba honorera pour l'avoir élu au fronton d'un de ses ouvrages (*A la recherche des normes perdues*), fait partie de ses objets de recherche favoris. Il en a fait, dès le début de sa carrière d'académicien, une boussole pour *son programme d'islamologue* qui a su mettre à profit, à cet effet, deux grandes disciplines : la philosophie et la sociologie[2].

1 - Devenue par la suite Faculté des Sciences Humaines et Sociales.

2 - C'est de Bouhdiba l'académicien qu'il s'agira dans ce papier. Je n'aborderai pas la deuxième facette de sa personnalité d'homme d'action et d'appareils. Bouhdiba

Témoignages

Table des matières

Témoignages

Laroussi Amri 9

Riadh Ben Rejeb 15

Khaled Ben Youssef 23

Mounira Chapoutôt-Remadi 29

Souad Kamoun-Chouk 33

Abdelwahab Bouhdiba: 1932-2020 / Ouvrage collectif - Tunis: Académie tunisienne des sciences, des lettres et des arts *Beït al-Hikma*, 2021 (Tunis: Ṣociété tunisienne d'édition et de prmotion d'art graphique) 38p., 22cm - Relié.
I.S.B.N: 979-9973-49-226-5

Il a été tiré de cet ouvrage 100 exemplaires
dans sa première édition

© Tous droits réservés à l'Académie tunisienne
des sciences, des lettres et des arts
Beït al-Hikma

Carthage, 2021

Abdelwahab bouhdiba

13 août 1932 - 17 décembre 2020

Académie tunisienne des sciences,
des lettres et des arts
Beït al-Hikma